ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 36 - العدد 1020 - الجمعة 14 ربيع الأول 1424 هـ - الموافق 16 ماي 2003

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

الحدث السعيد والفرحة الكبرى

تهنئة رابطة علماء المغرب لأمير المؤمنين والشعب المغربي بازدياد ولي العهد الأمير مولاي الحسن

اكرم الله سبحانه وتعالى أمير المؤمنين، سبط الرسول الاكرم الأمين، جلالة الملك محمد السادس نصره الله بازدياد مولود ذكر ميمون، صباح يوم الخميس السادس من ربيع الأول 1424 الموافق 8 ماي 2003م فاختار له جلالته أن يسمى الحسن باسم جده المقدس صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، تيمنا بهذا الاسم الجليل.

وبهذه المناسبة العظيمة، التي أدخلت الفرح والبهجة على الأسرة الملكية ، خاصة، والشعب المغربي عامة يسر الأمين العام لرابطة علماء المغرب بالنيابة أصالة عن نفسه ونيابة عن علماء المملكة أن يرفع إلى المقام العالي أسماه الله، خالص تهانئهم وعظيم ابتهاجهم، ضارعين إلى الباري جل وعلا أن يكلأ ولي عهد المملكة برعايته، ويحفظه بالطافة الربانية، ويجعله خيرخلف لخير سلف ، وأن ينبته نباتا حسنا، في كنف والده الهمام ، وأن يكون عزا وظهيرا ونصيرا للاسلام والمسلمين، سائرا على سنن أجداده الطاهرين، ميمون الطالع موفى الخطوات، سارعا إلى الخيرات، محفوفا بالسبع المثاني والقرآن العظيم في الغدوات والروحات، إنه على مايشاء قدير وبالإجابة جدير .

حفظ الله مولانا الإمام وأبقاه حصنا حصينا، وركنا ركينا، لهذا البلد الأمين، وشد أزره بولي عهده الأمير مولاي الحسن وسائر أفراد أسرته الكريمة وشعبه المجيد إنه سميع مجيب.

العمل الصالح مبدأ إسلامي

إذا كانت الحياة صراعا بين الخير والشر، وكان بناؤها يقوم أول مايقوم على إصلاح النفس وصفائها، قبل كل شيء، فقد أولت رسالات السماء النفس الإنسانية عنايتها، فعمدت إلى إصلاحها، وكان ذلك سر خلود رسالات الأنبياء وتفاني المؤمنين في سبيلها، والتفافهم حول الدعاة المبشرين بتعاليمها حتى صاغوا من هذه التعاليم مبادئ صارت قوة تهيمن على خطوات النفس البشرية وتتحكم في سلوكها، كما تحدثت الرسالات السماوية عن المجتمع وأوضاعه، والحكم وأنواعه، وقدمت أدوية لما يصيب هذه النواحي من علل، إلا أن ذلك لم يباعد بينها وبين طبيعتها التي تعتبر النفس الصالحة هي الأساس لكل صلاح.

ومن هناك كان الإصلاح هو الدعامة الأولى لتغليب الخير في هذه الحياة، فإذا لم تصلح النفوس، أظلمت الآفاق، وساد الشر حاضر الناس ومستقبلهم، يقول سبحانه وتعالى في سورة الرعد/الآية:١١ "إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم".

والإسلام في علاجه للنفس البشرية ينظر إليها من ناحيتين، أن منها فطرة خيرة، تحب الخير وتنبذ الشر، وترى في الحق امتداد وجودها وصحة حياتها. وفي الإنسان، أيضا، نزعتان: واحدة تقوده إلى العمل الصالح، وأخرى تدفع به إلى مهاوي الضلال.

وعمل الإسلام على إسداء المساعدة الكاملة للإنسان كي يدعم فطرته ويخلصه من وساوس الإثم، ويجعله خاضعا لتصريف العقل الرشيد بعيدا عن الطبائع الشريرة. قال رسول الله (ص) في حديث رواه مسلم: 'يشيب ابن آدم ويشيب معه خصلتان: الحرص، وطول الأمل'.

والنفس كلما ألفت موطنا لشهواتها أحبت الانتقال منه إلى موطن آخر، كما أن الجري وراء الهوى والانصياع إلى وساوسه التي لاتنقضي لن يشبع النفس ولن يرضي الحق، قال الله سبحانه في سورة (ص)/الآية:٢٦، (ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله).

ولابد، هنا، من التفريق بين أهواء النفس المحرمة ومطالبها المعقولة التي لا تتعارض مع ما حرم الحق سبحانه من ضرورات الحياة. لأن فطرة الإنسان في أساسها خيرة. وهو ليس ملاكا لا يحسن إلا الخير، بل إن الخير يتواءم ويتلاءم مع طبيعة الإنسان الأصلية، وكيف ذلك والله سبحانه كرم الإنسان بقوله: 'ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا'.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

الأمين العام لرابطة علماء المغرب بالنيابة

الحق والقانون في التوجيه الاسلامي

في هذا الحديث نتمم الكلام على موضوع أشرنا إليه في بعض الاعداد عند الكلام مع الانسان على الالتزامات والحقوق، ونخصص هذا الجزء للعلاقة بين الحق والقانون في التوجيه الإسلامي والتربية على احترام القانون نشير أولا إلى أن كلمة 'الحق' لها عدة استعمالات فهي تطلق على نقيض الباطل، وتطلق على الوضع الواجب.

والحق إسم من أسماء الله عزوجل، وقد وردت الكلمة في مائتين وسبعة وثمانين موضعا في القرآن الكريم، بدءا من قوله تعالى في سورة البقرة: "فيعلمون انه الحق من ربهم" وختما في سورة العصر في قوله تعالى: "وتواصوا بالحق".

تتمة : ص. ٢

م.ر.٠٠

محمد بن عبد الله. صلوات الله عليه. أسمى شخصية في النوع الإنساني

■ إعداد الأستاذ: عثمان بن خضراء

■ يقول الله تعالى: "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا. سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار. وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما".

قبل خمسة عشر قرنا من الزمن كان يخيم على البشرية ظلام مخيف ضاعت فيه كرامة الإنسان وحريته وسادت معه قوانين الغاب ونوازع الهوى والاستبداد.

وأراد الله تعالى لعباده الخير فاختار بقعة من أشد بقاع الأرض ليبعث منها نورا يضيء العالم ويعيد للإنسان كرامته وحريته ويقيم مجتمعا فاضلا على أسس العدالة والمساواة. وحدثت المعجزة فإذا مجتمع مكة وماحولها حيث تقاس الكفاءات بالأنساب ويشقى العبيد لخدمة سادتهم الغارقين في لهوهم وميسرهم يتحول إلى مجتمع جديد الناس فيه سواسية كأسنان المشط يكونون في مجموعهم جسما واحدا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

نعم، شاءت إرادة الله تبارك وتعالى أن يبسط رحمته على الناس، ويمد إحسانه إلى بني الإنسان فخرج إلى الوجود نبي منهم ورسول من أنفسهم ليكون لهم نبراسا يضيء لهم طريق الحياة، ومصباحا ينير أمامهم مسالك الدنيا، ومعلما يخرجهم من وهرة الجهل والباطل إلى ذروة الحق والإيمان، يرسم لهم دروب الخيرالتي توصلهم إلى الغاية المنشودة والأمل المرموق.

ذلك هو محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام

مامن كاتب أو باحث في المغرب أو المشرق يستطيع أن يحصر شمائل هذا المولود أو يحصي فضائله، فعاش حياة كلها مكرمات. خطوات مباركة وكلمات ميمونة، في أعماله القدوة الحسنة، وفي أفعاله التعليم والارشاد وفي سلوكه الأسوة الصالحة.

نعم ولد نبي التوحيد والعالم يموج بالجهل والجاهلية، في تيهاء عمياء، احتدمت فيه ضراوة الغرائز وتقطعت الأرحام وعبدت الأصنام، فاتخذت كل قبيلة ربا تعبده من دون الله تعالى، حتى كانت رسالة نبي التوحيد، فجاء بدينه محطما لأوثان الكفر، موجها الدعوة الحقة إلى أولئك الذين عبدوا الأحجار والنار والكواكب من دون رب هذه المخلوقات، فكان التوحيد شعار هذا الدين، وبهذا انتظمت مقومات الاسلام التي شرعت تأكيدا لصلة المخلوق والدين بالدنيا.

وكانت سمة هذا الدين هو التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله وتثبيتها في القلب بالإيمان برسالة هذا الرسول، ثم بتهذيب نفس الإنسان بالصلاة وتزكيتها بالزكاة، وبتعويدها الإخلاص في السر والعلانية بالصوم، ثم بالهجرة إلى الله تعالى والتجرد من ثياب الدنيا وبهائها وزينتها بالحج والسعي إلى الله عز وجل.

و في كل هذه العبادات العملية تحقيق وحدة الإنسانية فيها اجتماعا ومؤاخاة ومساواة وتبادل المنافع وسد الحاجات وقضاء الحقوق ومشاركة المشاعر وألفة القلوب.

هذه الوحدة الإنسانية المتمثلة في الصلاة جماعة وإلى قبلة واحدة، وصوم شهر واحد، والوحدة في الهجرة إلى مكان واحد متفرعة من توحيد الله سبحانه الذي جاء به هذا الرسول الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه.

جاءنا هذا المولود الكريم الذي أعطت تعاليمه الشريفة للدين حقه وللدنيا حقها، وأرشدنا بسيرته للطريق التي علينا أن نسلكها لنعيش في هذه الحياة سعداء ولنلقى الله تعالى وهوعنا راض. فبين ما أمره ربه بتبيانه ووضح ماوصاه خالقه بتوضيحه، وخطط للمؤمنين الطريق وحضهم على اتباع التخطيط، ثم وصاهم أن لايتفرقوا طرائق قددا، وقال زيادة في التبليغ وأداء الأمانة:

"تركت فيكم ماإتبعتموه لم تضلوا أبدا: كتاب الله"

نعم، هو القرآن العظيم الذي رصع الله تبارك وتعالى به جبين الأمة المحمدية، وجعله نبراسا يستضاء به وسط الظلمة، وأملا يتجلى عند الغمة، ودواء تعالج به العلل والاسقام، وشفاء ورحمة للمؤمنين.

ولو حققنا النظر وأمعنا الفكر وتجولنا في رحابه لوجدناه رحيقا صافيا، يرتشف منه الظامئ فيرتوى، ويلجأ إليه المضطر فيغتنى، ويقصده الحائر فيهتدى، ويتلمسه الخائف فيطمئن، ففيه الحكم البالغة والمواعظ الراشدة والأحكام الحازمة والآداب السامية، والتعاليم المضيئة، والوصايا النافعة التي تنير السبيل وتوضح الطريق من أجل هذا نرى فيه الإعجاز الصامد عبر القرون والأزمان، والصلاحية الدائمة المستمرة لكل بيئة مهما اختلفت الأوطان.

جاءنا هذا المولود الرحيم بإقرار حقوق الإنسان وقضى على العصبيات والعنصريات وصرح منذ خمسة عشر قرنا أن لافضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، فعاش الناس في ظل تعاليمه آمنين مكرمين، وتنعموا بالحرية التي ولدتهم أمهاتهم عليها يسودهم العدل وتعمهم الطمأنينة، لايهضم لهم حق، ولاتفرض عليهم سيطرة، بل يعيشون إخوة متحابين.

وهكذا تبين لنا أن نقطة البدء في عمل الرسول الكريم (ﷺ) كانت إعداد جيل مؤمن يقدر على حمل رسالة الإسلام وتبليغها للناس كافة، وهذا الاعداد كان على نهج الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى لهذه الأمة، وسار الكثير من الخلفاء الراشدين على سبيله، والذين آمنوا وتسابقوا إلى الإسلام وأكثرهم من الفقراء والضعفاء أصبحوا بفضل إيمانهم الصادق أئمة الدنيا وعمالقة المجتمع وسادة الوجود.

كنت ترى الرجل منهم على ضعف جسمه، وضآلة جسده، وقلة ماله، وشدة فقره يدخل على الملوك والقياصرة والأكاسرة يهزهم ولايهتز، ويخيفهم ولايخاف منهم ويُرهبهم ولا ترهبهم، وذلك لأنه قوي بالله تعالى، غني بالحق، عزيز بالإيمان، هكذا رباهم الإسلام ودربهم على الشرف، والكرامة، والعزة، والنزاهة.

وبهذه الصفات الفاضلة، وهذه الشيم الكاملة، وهذه الشمائل السامية واجه محمد علية الصلاة والسلام وأصحابه الكرام الحياة في ظلال الإسلام، فلم تصدهم قوة الظلم، ولم توقفهم جحافل الكفر، ولم يقهرهم سلطان مهما بلغ من الطاقة، فلئن ضاقت بهم ربوع مكة فأمامهم الآفاق الفسيحة في أرض الله، الواسعة المديدة.

ولئن ابتعدوا عن موطنهم ومسقط رؤوسهم، فوطنهم إيمانهم أينما ذهبوا، وحيثما رحلوا، وكيفما حلوا، والإيمان هو الإيمان، في كل مكان وزمان، يزداد مع الأحداث تألقا وبريقا، إذ الإيمان منبعه القلب ومصدره الروح، والإيمان الحقيقي في يدي صاحبه مقود يوجهه نحو الخير، ونبراس يضيء أمامه ظلمة الحياة.

لقد كان ميلاده عليه الصلاة والسلام بداية عهد جديد للمجتمع البشري تنفس فيه الصعداء وتوالت فيه البشائر واقتنع الزمان بأن الشرك والفساد والانحلال ستندثر من هذا الوجود، وأن عهد التوحيد والإصلاح والرخاء والاطمئنان آتية مقبلة، وأن زمان العبودية ذاهبة ليحل محلها عصر الحرية.

وشاءت العناية الربانية أن يكون هذا المولود هو المنقذ لهذه المجموعة البشرية وهاديها إلى ربها ومرشدها إلى مصالحها، والضامن لخير دينها وآخرتها، فأتى بعقيدة سامية تنظر إلى الحياة نظرة شاملة وتعمل على إيجاد انسجام بين أطرافها دون تضارب أو طغيان، عقيدة تهذب الروح وترفع مقامها وتثق بالعقل وتعلي من شأنه، عقيدة تنظم شؤون الحياة وتهتم بمطالبها دون تقصير أو إفراط واعتبرها أساسا لكل نجاح.

جاءنا هذا المولود العظيم بالإسلام الذي ارتضاه الله سبحانه للناس، قال جل شأنه: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" وهو الدين المقبول: "إن الدين عند الله الإسلام".

وعلمنا أن الإسلام أقوال وأفعال، وأنه هو التسليم الذي هو اليقين كما ورد عن الإمام علي كرم الله وجهه إذ يقول:

"لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبها أحد من قبلي: الإسلام هو السلم، هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء والأداء هو العمل".

فعندما نتكلم عن هذا المولود وهو محمد بن عبد الله فلنعزف ألحان القداسة على ناي الطهر، ولنرتل أنشودة المجد على قيثارة الزمان، فمحمد سيد الأمجاد، وزعيم الأحرار، ونور الأكوان ومحمد درة المتقين، وإمام المجاهدين، وقدوة الخاشعين، ومحمد هو نبي الله صفي الله، حبيب الله.

فما محمد إلا تاج عز فوق رؤوس البشر، وإكليل فخار على هام الخلائق ووسام الشرف على صدر الأكوان.

وما محمد إلا وشاح الحق على كشف الزمان، وأغنية المجد في مسمع الخلود وشعاع الخير في أفق الوجود.

وما محمد إلا أنشودة قدسية ترددت على فم التاريخ، ولمسة حنان في وجدان بني الإنسان، ونور أضاء الأرض والسماء.

وجاء ميلاده الشريف ليدعو الناس إلى مكارم الأخلاق، وكان أحسن الناس خلقا، وبذلك أحبه اتباعه وأصحابه واحتمي بظل عدله حتى خصومه وأعداؤه ودعا إلى معاملة الناس بالعدل والقسطاس حيث نزل عليه من ربه: "ولايجرمنكم شنئان قوم على أن لاتعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى".

وسيدنا محمد (ﷺ) يتخلق بأسمى الخلق في كليهما: فطري وكسبي، يعرفه قومه ويسجله التاريخ ويشاهده، وشهد به رب العزة في قوله تعالى:"وإنك لعلى خلق عظيم"

وروى ابن مسعود (رضي الله عنه) حديثا عن النبي (ﷺ) قال:"أدبني ربي فأحسن تأديبي"

وتوجزلنا السيدة عائشة (رضي الله عنها) هذا الكمال الذي كان النبي (ﷺ) تمثله في كلمتين فتقول: "كان خلقه القرآن"

فحياته كلها ترجمة للقرآن العظيم: روحه وحقائقه وتوجيهاته، وكان في شخصه الكريم الصورة الكاملة للمنهج القرآني، والصورة الحية الخالدة على مدار التاريخ، صورة الشمول لكل أهداف الحياة ومتطلباتها، صورة الإيجابية الفعالة في واقع الحياة، صورة الواقعية الحقة في مثالية عجيبة وتوازن رائع بين كل متطلبات النفس والحياة وأخلاق لاتساميها ولاتقربها أخلاق بشر سواه.

وقد كان (ﷺ) في خطته التوجيهية يشرف بنفسه على تنفيذ التعاليم الإسلامية ويأخذ الناس جماعات وأفراد بأن يعملوا بما تعلموا أي يجب أن يثمر الإيمان والعلم عملا لاقولا حتى جعل بينهم أئمة عالمين، لافلاسفة نظريين، إذ لافائدة لعلم لاتطبيق له، تلك هي الأسوة الحسنة الأصيلة من صاحب الرسالة والدعوة الإسلامية من النبي الكريم سيدنا محمد (ﷺ)، وهل نحن إلا ورثة نفس الدعوة فلابد لنا أن نتمارس القوة الخلقية اقتداء بالنبي (ﷺ)، ونحن حين نتابع هذه المسيرة متعاونين لانؤدي فقط بعض حق الرسول الأكرم علينا وإنما نعين على أن تصالح الإنسانية ربها وتدرك عظمة ماأنزل الله سبحانه على رسوله (ﷺ) وما هي بحاجة إليه وماانفقت فيه كلمة الإسلام مع كلمة العلم.

سدد الله سبحانه خطانا وهدانا بهديه والاحتفاظ بتعاليمه الخالدة ومبادئه السامية.

تتمة(ص1)

والقانون مجموعة من القواعد التي تنظم حالة معينة.

هذه الحالة قد تكون نظام دولة فيسمى القانون الدستوري وهو أعلى مراتب القانون، وهو مصدر كل تنظيم لحالات مخصوصة.

وهناك قواعد تنظم تعامل الناس مع بعضهم في شؤون حياتهم الاجتماعية والاقتصادية ويسمى بالقانون المدني، والقانون التجاري ويقاربه أحيانا القانون العسكري، وهو المنظم لشؤون الجيس ومايتعلق بعمله، وأحيانا يقابله القانون الجنائي وهو مجموعة القواعد التي تضبط الأفعال والأقوال والحركات التي تعتبر جريمة وتتبعها القواعد التي تنظم البحث والتحقيق والمحاكمة لاثبات نسبة الفعل أوالقول أو الحركة إلى جهة معينة مع امكانية المساءلة عن ذلك.

وقد تنفرد القواعد المنظمة بعلاقات معينة مخصوصة، كقواعد نظام الأسرة وقواعد استعمال الآلات كالسيارات وغيرها، وقد تتعدد الحالات المنظمة على انفراد، فتعدد النصوص والقوانين، والعلاقة بين الحق والقانون علاقة ترابط دائم نحتاج في كثير من الأحيان إلى فك ذلك الارتباط لمعرفة مايجيب القيام به.

فالحقوق لها حدود وخطوط يجب الوقوف عندها وعدم تجاوزها، وقد تتقابل الحقوق وتتواجه، ويتعين حينئذ وضع حد لعدم الوصول إلى المس بحقوق الغير ذاتيا كان أو معنويا، وعندما نعود لقراءة الآية الكريمة التي أشرنا إليها في البداية "وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر" ندرك القصد الشرعي من الارتباط بين الحق والصبر وخصوصا عند اختلاط الحدود والحواجز والنصوص والقواعد.

وهناك تقسيم آخر يجب أن لا يغيب عن بال المسلم، وهو مايسمى بحقوق الله وحقوق العباد وهو موضوع قد نعود إليه في حديث مستقل لخصوصيته.

وهكذا نكون قد وضعنا جانبا من خريطة مانسميه حقا ومانسميه قانونا، والموضوع مرتبط بحياة المسلم في صباحه ومسائه. ولذلك وجب ضبطه انطلاقا من مقومات الاشريعة ومصدرها الخالد القرآن والحديث وماجرى به العمل للوصول إلى مايسعد الفرد ويكفل جرمة الجماعة وصيانة الأموال والأنفس والأعراض والله الهادي إلى سواء السبيل.

■م.ر

الوثاق

تحفة الحالف بما في لاسكنت من اللطائف

للعلامة الفاطمي محمد الشرادي

■ الأستاذ : إدريس كرم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، القائل في كتابه العزيز: "وما بكم من نعمة فمن الله".

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد بن عبد الله، الباذل نفسه في مرضاة الله، وعلى آله وأصحابه الأطيبين الهادين المهتدين الأطهرين.

أما بعد:

فقد وقعت المذاكرة مع بعض الإخوان فيما يجري كثيرا على اللسان حتى صار ديدنا للغفلة من أبناء الزمان من الحلف بلا سكنت أو لا ساكنته، أو لأنتقلن أو لأسافرن وما في معنى كل.

فأردت تقييد ما يسره الله تعالى مما عثرت عليه في بعض الأحيان، وبيان ما يحتاج إليه من حلت به النازلة على قدر الإمكان، والله تعالى الموفق للإيمان، والهادي إلى الصواب، وإليه في كل حال المرجع والمآب.

■ إعلم أن هذه الألفاظ وما في معناها يتعلق بها الكلام من وجوه.

الوجه الأول: بيان ما هو منها من صيغة البر، وما هو من صيغة الحنث، لأن بين الصيغتين فرقا.

الوجه الثاني: في هذه الصور العقلية هنا لهذه المسائل.

الوجه الثالث: بيان ما يجب على الحالف بها حين يمينه وما يتبع ذلك.

الوجه الرابع: ما يرخص له فيه من فعل ما حلف عليه وها لابعد برور يمينه.

الخامس في ألفاظ ألحقت بهذه، مما يجمعه المعنى وإن اختلفت المراد.

الوجه الأول:

لا يخفى أن صيغة البر عند الفقهاء هي إن فعلت أولا فعلت، وصيغة الحنث هي لأفعلن أو إن لم أفعل، إلى ذلك أشار في المختصر بقوله، والمنعقدة على بر بإن فعلت أولا فعلت أو حنث بلا فعلت أو أفعل إن لم يوجد، وفي ذلك يقول بعضهم رحمه الله البيت المشهور

البر إن فعلت لا فعلت
لأفعلن إن لم أفعل حنث

فلا فعلت صريح في نفي للفعل وكذا إن فعلت بجعل أن للنفي، إن لم يكن له جواب، فمعنى إن فعلت ولا فعلت، لا أفعل، لأن الماضي يصير مستقبلا، إذا نفي بأن أو بلا، قال في التسهيل «وينصرف الماضي إلى الاستقبال بالنفي بلا وإن بعد القسم هـ. ولأفعلن اللام للإثبات في جواب القسم، وكذا إن لم يفعل أي فيه للنفي ولم له أيضا، ونفي النفي إثبات، ففي البر يحلف على النفي لا على الفعل والإثبات، فبره بالترك وعدم الفعل، كما كان قبل اليمين، وفي الحنث يحلف على الفعل ببره وحنثه بالترك والعزم على ضد ما حلف عليه.

وعلى هذا فالفرق بينهما من وجوه: من جهة حقيقتهما كما تقدم، ومن جهة أن الأول على البراءة، والثاني على الحنث، ومن جهة أن الحنث بينهما مختلف، ومن جهة أن الإكراه ينفع في البر ولا ينفع في الحنث.

❖❖❖

وقولنا وحنثه بالترك والعزم على الضد لخ هذا على ما في المختصر، ومقتضى المذهب عدم الحنث به، وإنما يحنث بالفعل، قاله ابن عرفة، وسميت الأولى صيغة بر، لأن الحالف فيها مع اليمين على البراءة الأصلية، وإنما يحنث إذا ارتكب خلاف ما كان عليه، والثاني صيغة حنث لأن الحالف بيمينه صار على حنث، فيطلب منه البرور بفعل ما حلف عليه وإلا حنث، ومحل كون لأفعل أو إن لم أفعل للحنث إن لم يوجل كما قال المصنف.

❖❖❖

ومعناه أن الحالف بهما إنما يكون على حنث إن لم يضرب ليمينه أجلا، فإن ضرب ليمينه أجلا فلا يكون الأجل كوالله لا أكلم زيدا في هذا الشهر، فهو على بر ولا يحنث إلا بمضي الأجل، ولم يفعل بلا مانع أصلا، أو لمانع شرعي أو عادي لا عقلي، وفيه يقول المصنف، وحنث إن لم تكن له نية.... لخ فالحنث في صيغة الحنث بالعزم على الضد إن لم يوجل، أو بفوات الأجل في الموجل، وفي صيغة البر الحنث بفعل ما حلف على نفيه طائعا غير مكروه، لقوله ووجبت به إن لم يكره ببر.

❖❖❖

فالإكراه إنما يعذر به الحالف في صيغة الحنث، وهذا مما افترق به اليمينان كما تقدم.

والإكراه ينفع في صيغة البر وإن كان من غير عاقل، كدابة جمحت براكبها حتى ادخلته الدار المحلوف على عدم دخولها، غير قادر على ردها ولا عن النزول عنها، ذكره ابن عرفة، وعذر الحالف في صيغة البر بسبب الإكراه فقيد بقيود ستة:

الأول: أن لا يعلم انه يكره على الفعل،
الثاني: أن لا يامر غيره بإكراهه له،
الثالث: أن لا يكون الإكراه شرعيا،
الرابع: أن لا تكون يمينه لا فعله طائعا ولا مكرها،
الخامس: أن لا يفصله ثانيا طائعا بقدر زوال الإكراه،
السادس: أن لا يكون الحالف على شخص هو المكره له وإلا حنث.

قال الشيخ أحمد: ومن الإكراه من حلف على امرأته بالطلاق لا خرجت من الدار، فأتاها سيل أو هدم أو أمر لا قرار لها معه، أو أخرجها أهل الدار، وهي بكراء، فلا شيء عليه في خروجها، واليمين عليه في الدار التي انتقلت إليها.

❖❖❖

ويوخذ منه حكم نازلة وهي من حلف بالطلاق على زوجته لا خرجت إلا بإذني وسافر ونودي على فتح قدر وهي حامل أو مرضع، فخرجت لخوفها على ما في بطنها أو رضيعها، فلا حنث عليه، لأنه أمر لا قرار لها معه.

وهذا هو الصواب خلافا لمن قال عليه الحنث ثم محل كون إن فعلت ولا فعلت صيغتي بر ما لم يرجعا إلى الحنث بغير واسطة تقدير الترك بل بتقدير غيره، فيكونا صيغتي حنث، كوالله إن عفوت عن زيد، أو إن أقمت في هذا البلد أو البيت، لأن معناه في الأول لأطالبنه أو لأشكونه، وفي الثاني معناه لأنتقلن أو إن لم انتقل، ومنه يعلم حكم نازلة قد وقعت وهي أن شخصا قال لزوجه عليه كذا لا كنت لي امرأة، فقيل صيغة بر وقيل صيغة حنث، والصواب هو الثاني عملا بهذه القاعدة، لأن قوله لا كنت لأفارقنك، أو لأطلقنك ولذلك إذا طلقها بائنة فقد بر في يمينه، يردها ولاشيء عليه قاله في نوازل العلمي.

❖❖❖

ومنه أيضا مسألة أخرى وقعت في زمننا وهي إن رجلا سجن ابنه فلما أراد إخراجه حلف الولد بالثلاث لا خرج من السجن ستة أشهر نكاية لأبيه، فهذه أيضا صيغة بر ترجح للحنث، لأن المراد لأمكثن ستة أشهر، فيجري عليه أحكام الحنث الموجل، بر في مدة الأجل فلا يبر إلا بالمكث فيه ستة أشهر، خلافا لمن أفتاه بأن يطلق ويخرج ثم يردها قبل الستة عملا بقول المختصر.

واعتبر في ولايته حال النفوذ، فلو فعلت المحلوف عليه حال بينونتها لم يلزم، وغفل عن عود اليمين عليه قبل تمام العصمة على المعول عليه لقول المختصر، ولو نكحها، ففعلته حنث إن بقي من العصمة المعلق فيها شيء، وهي نازلة وقتية غلط فيها جماعة والكمال لله.

❖❖❖

وأما ما يرجع من البر إلى صيغة الحنث بتقدير واسطة الترك فلا يخرجها ذلك عن البر إلى الحنث، كوالله لا أكلم أو إن كلمت، فمعناه لأتركن كلامه، ذكر هذا التقييد الزرقاني ونسب نقله لابن المواز لذى قوله والمنعقدة على بر، وسلموه له لمن لا تساعده تفرقة المصنف بعد ذلك بين لا سكنت مع لأنتقلن في الحكم على أن لا سكنت في المعنى يرجع للأنتقلن بلا تقدير ترك، وأجيب بأن لا سكنت أشد من لأنتقلن فهو يحلف على عدم تصور السكنى منه في المكان مطلقا، ومن ثم إذا رجع بعد ذلك للسكنى حنث بخلاف لأنتقلن، إنما يحلف على مجرد الانتقال من المكان، ومهما حصل منه بر، ومن ثم كان له أن يرجع، فبينهما فرق، فإذا علمت هذا عملت ان لا سكنت ولا ساكنته صيغتا بر، ولأنتقلن ولأسافرن صيغتا حنث، وقد علمت الفرق بين البر والحنث، باعتبار حقيقتهما وما يكون عليه الحالف بهما وقت الحلف وما يبر به وما يحنث به فيهما.

❖❖❖

الوجه الثاني في ذكر ما عدُوه من الصور: اعلم ان الحالف بلا سكنت أو لا ساكنته إما أن يقيد بدار منكرة، وإما أن لا يتعرض لها، ولكن النية عليهما أو دل البساط على ذلك، فهذه ثلاث صور، وفي كل الدار، إما أن تكون ساحة لا بيت فيها أو بها بيت واحد، أو بها بيوت ثلاث في ثلاث بتسع، الحكم فيها ما ياتي بيانه، وتجيء هذه الصور في الحلف على المارة أو القرية أو البلد أو المحلة وما في معناه من مساكن الحاضرة والبادية.

الثالث: بيان ما يجب على الحالف بها وقت يمينه:

فالواجب في لا سكنت ونحوها حين اليمين المسارعة إلى الانتقال بنفسه ورحله من المحل المحلوف على عدم السكنى فيه مع الإمكان ولو ليلا قيد بالدار أولا، فإن لم يمكنه وقت اليمين الإنتقال لعدم وجود من يحمل له، أو لخدمه على نفسه أو ماله أو احتاج في الرحيل إلى يومين أو ثلاثة لكثرة رحله، فلا حنث حتى يبقى مختارا ولو بإبقاء شيء من أمتعته قال المصنف في ذلك وحنث ببقاء ولو ليلا في لا سكنت وبالغ على الحنث بالبقاء، بقوله ولو بإبقاء رحله لا بكمسها، وهل إن نوى عدم عوده الخ وأما غلاء الكراء أو عدم وجود مسكن يوافق فلا يعد عذرا....الخ

فلينتقل ولو لبيت شعر، ثم ينظر ما يوافقه، لكن بقاء الرحل يحنث به شروط:

الأول: أن لا يكون في نقله فساد، فإن تركه لخوف الفساد عليه عند نقله فلا يحنث بإبقائه، كثمر شجر بدار قبل استحقاق جده.

❖❖❖

الثاني: أن يكون حلفه لقطع المنة ونحوها، فإن كان يمينه لما يدخل بينه وبين الجيران من مشاورة ونحوها فلا يحنث بإبقاء رحله كما في الشيخ أحمد عن اللخمي،

الثالث: أن يبقى رحله بمحله السكنى أو ما في حكم محل السكنى، مما يدخل مع الدار في عقد الإجارة إلا بشرط، كالمطامير التي بالدار، وتكرى بعقدة غير عقد الدار، أو تدخل معها بشرط لا بدونه فلا يحنث بابقاء رحله بها، وان كان ما خرب بها مما يسمى رحلا قال الحطاب ومثل المطامير الصهاريج عندنا في الحجاز، فإذا أبقى رحله بالمطامير أو الصهاريج لم يحنث إن أكراها منفردة عن محل سكناه، وكانت مامونة حال انتقاله عنها، ولم تدخل الكراء الأصلي إلا بشرط كما هو أصل موضوعه، فإن اختل واحد من هذه فلا يبقى بها شيئا من متاعه، فإن إبقاءه حنث هـ.

-يتبع-

في ظلال الحديث

الحديث الرابع والستون: أصول مكارم الأخلاق

نص الحديث: عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: "...فقالت خديجة كلا والله مايخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق" رواه البخاري.

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث:

هذا جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي ج1/ص4/ح3 قال: حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين، وكتاب تفسير القرآن، ج4/ص1895/ح4670، وكتاب التعبير، باب أول ما بدى رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة،ج6/ص2562/ح6581. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله، ج1/ص142/ح160. وابن حبان في صحيحه ج1/ص220/ح33. وابن حنبل في مسنده، باقي مسند الأنصار ج6/ص153/ح25243، والحاكم في مستدركه ج3/ص203/ح4843.

سند الحديث

قال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير، وهذا تعريف موجز لرجال السند:

يحيى بن بكير: هو أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن بكير نسبه إلى جده لشهرته بذلك، المخزومي القرشي مولاهم المصري وهو من كبار حفاظ المصريين، وأثبت الناس في الليث بن سعد الفهمي فقيه المصريين. كان مولده سنة 154، ذكره ابن حبان في الثقات وقال مات في النصف من صفر سنة 231.

الليث: هو أبو الحارث ليث بن سعد بن عبد الرحمن المصري ذكره محمد بن سعد في الطبقة الخامسة من أهل مصر. قال: وكان قد استقل بالفتوى في زمانه وكان ثقة كثير الحديث صحيحه، وكان سريا من الرجال نبيلا سخيا له ضيافة. قال أحمد: الليث بن سعد كثير العلم صحيح الحديث. وقال علي بن المديني: الليث بن سعد ثبت، وقال أبو زرعة عن الليث بن سعد صدوق. ولد رحمه الله سنة 94 وتوفي يوم النصف من شعبان يوم الجمعة سنة 175 .

عقيل: هو أبو خالد عقيل بن خالد بن عقيل، الحافظ الحجة الأموي الأيلي من موالي عثمان (رضي الله عنه). قال ابن معين ثقة وكذا وثقه غير واحد واحتج به أرباب الصحاح، وحديثه كثير منتشر، مات بمصر فجأة في سنة 144هـ.

ابن شهاب: هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الفقيه القرشي الزهري، نسب إلى جد جده لشهرته، وهو من رهط آمنة أم النبي (ﷺ)، من أحفظ أهل زمانه للسنن وأحسنهم لها سياقا وكان فقيها فاضلا، قال عمر بن عبد العزيز لجلسائه هل تأتون ابن شهاب قالوا إنا لنفعل قال: فأتوه فإنه لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية منه، وكان مالك يقول كنت أكتب الحديث فإذا اختلج في قلبي منه شيء عرضته على الزهري فما أمرني فيه قبلته وما اثبته فهو الثبت عندي، وكنت أوثر علمه فيه على علم غيره لتقدمه في هذا الأمر، وعلمه بسنن رسول الله (ﷺ). مات لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة 124هـ.

عروة بن الزبير: أبو عبد الله، عروة بن الزبير بن العوام الأسدي المدني، أحد الفقهاء السبعة في المدينة، وأحد علماء التابعين، روى عن أبيه وأمه، وعن خالته عائشة أم المؤمنين، وعن علي، ومحمد بن مسلمة وأبي هريرة، قال عنه ابن سعد: ثقة كثير الحديث، فقيه عالم ثبت مأمون، كان يقرأ كل ليلة ربع القرآن، مات وهو صائم سنة 92هـ.

عائشة أم المؤمنين: هي الصديقة بنت الصديق، السيدة المبرأة، أم المؤمنين، وكنيتها أم عبد الرحمن، عائشة بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما) إحدى أزواج النبي (ﷺ) وكانت من أحب نسائه إليه بعد خديجة (رضي الله عنها)، لم يتزوج النبي (ﷺ) بكرا غيرها، وكانت (رضي الله عنها) صائمة الدهر صاحبة كرم وجود وزهد وفقه وعلم وحفظ وفصاحة، قال أبو موسى الأشعري: "ما أشكل علينا حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما" وقال الزهري: "لو جمع علم جميع أزواج النبي (ﷺ) وجميع النساء كان علم عائشة أكثر" قالت أم ذر (ض): بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال . أراه مائتي ألف أو مائة ألف . فقسمته بين الناس، وأمست وهي صائمة وما عندها من ذلك درهم، ومناقبها كثيرة من أن تعد (رضي الله عنها) وأرضاها، روي لها 1210 حديث، توفيت (رضي الله عنها) وعمرها 66 سنة ودفنت بالبقيع.

وقبل الانتقال إلى محور موال لابد من وقفة مع السيدة الفاضلة، أحب النساء إلى قلب رسول الله، أم المؤمنين، خديجة (رضي الله عنها) وأرضاها:

خديجة، أم المؤمنين: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية زوج النبي (ﷺ)، وأول من صدقت ببعثته مطلقا. وكانت تدعى قبل البعثة الطاهرة. أخرج النسائي والحاكم من حديث أنس جاء جبريل إلى النبي (ﷺ) فقال إن الله يقرأ على خديجة السلام فقالت إن الله هوالسلام وعلى جبريل السلام وعليك السلام ورحمة الله. وقد أثنى النبي (ﷺ) على خديجة ما لم يثن على غيرها، وكان (ﷺ) يغضب إذا ذكرها أحد بسوء. مكان له منها الولد دون غيرها، ولقد ثبت أنه (ﷺ) بشرها ببيت في الجنة. توفيت (رضي الله عنها)، لعشر خلون من رمضان وهي بنت 65 سنة عشر من البعثة بعد خروج بني هاشم من الشعب ودفنت بالحجون ونزل النبي (ﷺ) في حفرتها ولم تكن شرعت الصلاة على الجنائز.

أهمية الحديث

هذا الحديث يبين أصول مكارم الأخلاق التي جمعت فيه (ﷺ)، لأن الإحسان إما إلى الأقارب أو إلى الأجانب، وإما بالبدن أو بالمال، وإما على من يستقل بأمره أو من لايستقل، وذلك كله مجموع فيما وصفته به (ﷺ) أم المؤمنين خديجة (ض) في هذا الوصف الموجز البليغ، وهو يدل على حسن معاملة ومواساة من وقع له أمر، وتطمينه بتذكيره بأحسن صفاته وخصاله.

مفردات الحديث

"كلا": معناها النفي والإبعاد.

"مايخزيك": لايذلك، ولايضيعك، والخزي الوقوع في بلية وشهرة بذلة.

"الكل" هو من لايستقل بأمره، وهو العاجز الفقير الذي يحتاج لمن يعوله.

"المعدوم": المفلس أو الفقير.

"تقري": القري: الصحافة وحسن الوفادة.

المعنى العام

تأتي هذه الشهادة العظيمة في حق سيد الوجود، وهي شهادة حق وصدق، في سياق حديث طويل، مشهور بين المسلمين، وهو الحديث الذي يسلط الأضواء على تلك اللحظات الخالدة، لحظات الإشعاع النوراني، حيث شاء رب العزة أن تكون تلك اللحظات غير عادية، يصطفي فيها عبده الأكمل وحبيبه الأشرف، نبيا ورسولا بل خاتما للأنبياء والرسل، به يكمل الله الدين، ولقد كان الأمر بالنسبة لحبيبنا وسيدنا محمد غير معتاد، فيرجع كما جاء في ثنايا الحديث، وهو يرتعد، وقد أصابه الخوف، وعند وصوله إلى بيته، يجد في استقباله تلك السيدة الفاضلة، الحكيمة الوفية، فما أين يحكي لها ما جرى، حتى ينطلق لسانها دون تردد أو تلعثم، ينطق ويشهد الحق والصدق، مطمئنة ومواسية، ومبشرة ومذكرة صاحب الأخلاق الفاضلة، إن الله عز وجل لايخزي ولا يخيب من اتصف بما اتصف به من مكارم الأخلاق بل أصولها، قائلة: "كلا والله مايخزيك الله أبدا" وفي مرسل عبيد بن عمير "فقالت أبشر يا ابن عم واثبت فوالذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة".

إنها . كما قلت . شهادة حق وصدق من أعرف الناس وأقربهم برسول الهدى صلوات ربي وسلامه عليه، وهذا التأكيد يبين لنا أن الله عز وجل اختار حبيبه محمدا للرسالة، وحلاه بمكارم الأخلاق، وتلك الشهادة الربانية خالدة باقية إلى يوم القيامة في قوله تعالى: (وإنك لعلى عظيم).

1. الأصل الأول: صلة الرحم

إن الله عزوجل في أعظم قضية، وهي قضية الإيمان، يقرن سبحانه بين الأمر بتوحيده عدم الإشراك به، بالإحسان إلى الوالدين، "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا" وهذه دلالة على أن الإحسان إلى الناس عموما والأقارب، الأقرب فالأقرب خصوصا، أمر مكمل لقضية الإيمان، إذ لا إيمان بلا إحسان، والإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك، (سبق لنا تفصيل هذا الأمر في الحديث الثاني والخمسين).

2. الأصل الثاني: حمل الكل:

الإنسان الكل (بفتح الكاف) هو كل من لايستقل بنفسه، ويدخل فيه الصبي، والفقير والمحتاج والأمي، والجاهل... ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك، والكل من الكلال وهو الإعياء، وهذا مايعبر عنه اليوم بالخدمة الاجتماعية التي يقدمها الإنسان القادر للمحتاج إليها، وهي تتنوع حسب الحاجة، فهذا يحتاج إلى المال، وهذا يحتاج إلى العلم، وغيرهما يحتاج إلى الكلمة الطيبة الشافية...

والمعنى أنه (ﷺ) كان في خدمة الناس، وفي هذا الباب آثار عديدة، لايتسع المجال لذكرها، وهي مثبتة في كتب السنة المعتبرة.

3. الأصل الثالث: إكساب المعدوم

إنها صفة قلما يتصف إنسان، مهما بلغ كرمه، فإذا كان المحتاج، المعدم يرغب أن يستفيد مالا موجودا، فإن رسول الله (ﷺ) كان يرغب أن يستفيد رجلا عاجزا يعاونه، أو فقيرا محتاجا يواسيه، يتقرب بذلك إلى ربه.

والناظر إلى أحوال المسلمين يجد عموم أغنيائهم ينتظرون فقيرا يدق بابهم فيكرمونه، بل ويظن بعضهم أنه أصل الفعل، وصاحب الفضل، وقد يعيره إذا ما هو يوما جحد أو نسي.

ولذا وجب الرجوع إلى هذه الأخلاق الفاضلة، والفهم، والتأسي والتخلق بها، وتقويم ما ساد من أخلاق تنسب إلى الإسلام زورا وبهتانا.

4. إكرام الضيف:

لقد كان (ﷺ)، أكرم هذه الأمة، وكان لضيفه أكرم، ولقد جعل النبي (ﷺ) إكرام الضيف من الإيمان في قول: "ومن كان يومن بالله واليوم الأخر فليكرم ضيفه" فمن التزم شرائع الإسلام، وسلك مسلك المؤمنين الأخيار، لزمه إكرام من نزل عنده من الضيوف والإحسان إليهم.

ومن أدب الضيافة وكرمها البشر والبشاشة في وجه الضيف، وطيب الحديث معه، والمبادرة بإحضار ماتيسر من طعام وشراب...

وإن إكرام الضيف له أثر بالغ في تمتين العلاقات الاجتماعية، وتقوية مشاعر المحبة بين الناس.

5. إعانة الغير عند الشدائد:

إن حياة الناس حافلة بالأحداث والمستجدات، ومن هذه الأحداث الشدائد التي قد يتعرض لها الناس، كالمرض وذهاب المال والولد، وغير ذلك مما قد يصيب الإنسان في ذاته أو أهله أو ماله... وفي تلك اللحظات يحتاج المصاب إلى من يواسيه ويخفف عنه، ولقد كان رسول الله (ﷺ) قبل وبعد البعثة خير من يواسي مصابا حيث رزقه الله خلقا وخلقا يؤهله حقيقة للتخفيف عن المصاب، وبعد البعثة كان قبلة لكل مصاب أو منكوب أو مكروب مسلما أو غير مسلم، والسيرة النبوية الشريفة حافلة بما يؤكد هذا الأمر.

6. وأخيرا:

ونحن نعيش في هذه الأيام، ذكرى المولد النبوي الشريف، أرى والله أعلم . أننا في أمس الحاجة ليس فقط لشرح مثل هذه الآثار، أو قراءة فصول من السيرة النبوية العطرة، أو التذكير بأخلاقه الفاضلة الكريمة، وإنما إلى تطبيقها وتجسيدها في حياتنا، وبذلك تعود العزة إلى الأمة الإسلامية أفرادا وشعوبا، حكاما ومحكومين.

ولقد رأيت أن أعنون هذه الحلقة بأصول مكارم الخلاق لأنني وجدت أن الأخلاق الفاضلة كلها تتفرع عنها، ولعل كلام أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها)، هو في غاية الدقة والحكمة، وكأنها تؤكد مسلمة مفادها أن الله عز وجل لايصطفي لرسالته إلا من تحلى بمكارم الأخلاق، وصدق رسول الله (ﷺ) عندما قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" فهل من معتبر.

فوائد الحديث:

- استحباب تأنيس من نزل به أمر بذكر تيسيره عليه وتهوينه لديه.
- من نزل به أمر استحب له أن يطلع عليه من يثق بنصيحته وصحة رأيه.
- مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء.
- مدح الإنسان في وجهه في بعض الأحوال لمصلحة.
- وفيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال خديجة (رضي الله عنها) وجزالة رأيها، وقوة نفسها، وثبات قلبها، وعظم فقهها.

والله أعلم المراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

لقد جاءكم رسول من أنفسكم...

■ إعداد الأستاذ : عبد الله الطيبي كديرة

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أكرمنا بالرسالة المحمدية التي كانت وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لنا رحمة وهدى وشفاء وزكاة... الحمد لله القائل في كتابه الحكيم، وهو جل وعلا الحكيم العليم: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ماعنتم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تولوا فقل حسبي الله، لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم" وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي الأمين، الرحمة المهداة إلى جميع العالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى جميع عباد الله الصالحين، إلى يوم الدين...

عباد الله! ستحل بنا ذكرى مولد رسول الله (ﷺ).. عيد يعود علينا كل سنة ليذكرنا برسول الله... ونحن لم ننس ولن ننسى في أية لحظة من حياتنا رسول الله...فرسول الله تذكرنا به نداءات المؤذنين على قمم المآذن... رسول الله تذكرنا به الصلوات المفروضة والمسنونة والنافلة..رسول الله تذكرنا به رسائلنا، تذكرنا به خطبنا.. تذكرنا به مواقفنا وأعمالنا.. نتذكره فيما نطيع به الله ونطيعه هو من أعمال نأتيها أو ندعها مختارين أو مكرهين.. نتذكره فيما نعصي الله ونعصيه به من أمور نأتيها أو نذرها مجبرين أو مريدين.. رسول الله (ﷺ) طبع حياتنا جميعا أفرادا وجماعات، شعوبا وقبائل، بطابعه النبيل، فهو معنا بتوجيهه، وهو معنا بتأديبه، وهو معنا ومنا وفينا بالوحي الكريم الذي جاءنا به صادقا مصدوقا من رب العزة جل وعلا.. إنه معنا ومنا وفينا بكل إنسانيته العالية في كل دقائق أمور حياتنا... علمنا كيف نأكل وكيف نشرب.. وكيف ننام وكيف نعاشر الأزواج.. علمنا حتى كيف نقضي حاجات البشر الضرورية من الأمور التي يخجل فيها من يخجل، ويستحيي من يستحيي.. ولاحياء في الدين.. أليس هو الذي علمنا أن الزوجين في لقاء شهوتهما يكونان مأجورين لأنهما جعلا بضعهما في حلال، فإذا كانا موزورين على لقاء الحرام، فهما مأجوران على لقاء الحلال، ومطلوب منهما أن يأتياه في أجمل لحظات السرور والمداعبة والأنس والألفة والود.. مطلوب منهما أن يفضي أحدهما إلى الآخر بدءا باسم الله تعالى الذي لا يضرمع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء.. مطلوب منهما أن يدعوا عند المباشرة بهذا الدعاء النبوي المأثور: "اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان مارزقتنا".. أية بركة تحيط بثمرة هذا اللقاء إذا كانت له ثمرة: ابن أو ابنة؟! وهو أيضا الذي علمنا بعد قضاء الحاجة والخروج من الخلاء أن ندعو بهذا الدعاء حامدين شاكرين لله تعالى في كل أحوالنا وأحياننا: "الحمد لله الذي أذاقني لذته، وأبقى في قوته، ودفع عني أذاه" فهل بعد هذا من دليل، لمن شاء الدليل، على أن رسول الله (ﷺ) يعيش بيننا في أصحابنا وأمسائنا.. ينير لنا الحياة بنور الله، ويخرجنا بإذن ربه جل وعلا من الظلمات إلى النور؟ واحتفالنا بعيد مولده الكريم، واحتفاؤنا بذكرى هذا المولد تكريم لنا نحن، لاله هو، فقد كرمه الله قبلنا وبعدنا... إنه إحياء لنا نحن، فهو الذي دعانا لما يحيينا قبل اليوم وبعد اليوم...

إن رسول الله (ﷺ) منا كبشر وهو أعظم البشر، إنه منا كمسلمين وهو إمام كل مسلم.. إنه منا كعرب وهو أكرم العرب.. بعثه الله في الأميين وهو منهم.. بعثه الله إلى العرب وهو في الذؤابة من أنسابهم وأحسابهم.. بعثه الله كإنسان من الناس إلى جميع الناس وهو فيهم كلهم خيار من خيار من خيار... جعله الله تعالى نطفة طاهرة في أطهر الأصلاب من لدن آدم عليه السلام.. وصبت هذه النطفة الطاهرة في أنقى الأرحام من لدن حواء (رضي الله عنها)..وتنتهي هذه النطفة السامية المباركة إلى شاب كريم هو عبد الله بن عبد المطلب الذي ما كان دوره في هذا الوجود إلا حمل هذه النطفة ليصبها من طريق حلال كريم نقي طاهر في رحم آنسة كريمة، سليلة النسب الكريم والحسب السليم والخلق القويم آمنة بنت وهب... وقد لعب الشيطان وكاد كيده ليحول بين هذه النطفة والوجود أصلا، فدبر مكيدته النكراء ليموت عبد الله ميتة منكرة وثنية، بالذبح قربانا لآلهة مكة.. ويمكر الشيطان.. ويمكر الله والله خير الماكرين.. فكان أن اعترض الناس، على وثنيتهم، على هذا الذبح، ووقفوا وقفة رجل واحد يحولون دون تنفيذه، ولم تسبق لهم سابقة مثل هذه في الاعتراض على ماجرت به سنة آبائهم وأجدادهم ولو كانت غير حميدة ولامعقولة... ومن مكر الله الخير. جل وعلا. أنه جعل حكم نجاة الأب الكريم ومايحمله من نطفة أكرم.. أن جاء حكم النجاة على لسان كاهنة من حيث لاتعلم ولاتدري.. فعاد كيد الشيطان في نحره، وباء بعاره وخزيه، فهل يئس واستكان؟كلا! بل دب دبيب الشهوة الفاجرة، والطموح غير المشروع في جسد وعقد إحدى نساء مكة، فما إن رأته في طريقه إلى عروسه آمنة، حتى توسمت في ملامحه نورما يحمله في صلبه من النطفة المباركة. النطفة النبوية المحمدية. فاعترضت طريقه متخلية عن كل تقاليد بنات جنسها من الحياء، أو من تمنعهن وهن الراغبات، وضاربة عرض الحائط بكل شمم نساء العرب الحرائر.. فاعترضت طريقه متزينة متبرجة داعية إياه إلى نفسها، آملة أن يكون لها هي شرف حمل النطفة الطاهرة.. فأعرض عنها الشاب النبيل أبيا نفسه على الخنا والفحش.. وحماية من الله تعالى لهذه النطفة أن يكون مصبها بطريق حرام في رحم حرام.. وكان لرسول الله خير خلق الله وأكرم البشر عند الله أن يكون ميلاده إلا من حلال النكاح لامن حرام السفاح...

وكان اللقاء الموعود من لدن خلق آدم أبي البشر.. وأعرس عبد الله بآمنة.. وكان استقرار النطفة المباركة في الرحم المبارك، ليكون من ذلك ميلاد الإنسان المبارك محمد (ﷺ)... وفيما كان عبد الله عائدا بعد إعراسه من نفس الطريق لقيته المرأة المكية نفسها، فأعرضت عنه، وقالت لصويحبات لها: لقد كان يحمل في أعماقه نورا توسمته فيه فأردته لنفسي.. وقد فازت به آمنة دوني...

وسافر عبد الله وترك النطفة تكمل نموها في رحم الأم الطاهرة... لقد أدى مهمته.. وسافر ليلقى مصيره المحتوم... وبقيت الأم لتؤدي دورها هي أيضا.. إلى أن يأذن الله بنهايته في وقت لاحق...

والمهم في كل هذا الذي ذكرت هو أن رسول الله إنسان كريم بعث لكل إنسان من بني آدم، وهو منهم في الصميم، وهو أطهرهم وأصفاهم، فقد جاءهم. وهو منهم. من أنفسهم، ومادام كذلك فهو رحمة الله المهداة إلى البشرية جمعاء، يكره لهم العنت والمشقة، وأقولها وأعيدها أيها المؤمنون: إنه يكره لهم جميعا عربا وعجما، سودا وبيضا، كل مكروه وكل أذى من أمور الدنيا والآخرة.. فهو يكره للناس جميعا العنصرية البغيضة، وهو يكره للناس استعباد الإنسان لأخيه الإنسان، وهو يكره للناس جميعا كل أنواع المكروه والشر والضر والوزر والإصر... لقد بعث داعيا هاديا، ولم يبعث جابيا.. بعث بالحنيفية السمحة التي كلها يسر وكمال.. وهو حريص على كل الناس في صحتهم وتعليمهم وسعادتهم الدنيوية والأخروية، ولهذا ماترك (ﷺ) شيئا يقربهم من الله تعالى ويرضيه عنهم ويرضيهم عنه وعن أنفسهم ليحيوا حياة حقيقية إلا علمهم إياه وحثهم عليه بقوله وبفعله، والناس في تهافتهم على الشهوات والأهواء كالذباب أو الفراش في تهافته على النار.. فيها حرقة وهو إليها مندفع.. والرسول (ﷺ) يقف حائلا بينهم وبين هذا الخطر المحدق الذي يفسد عليهم دينهم وآخرتهم.. وهو في كل ذلك يصبر على الأذى، ويعرض عن الجاهلين المكذبين، ويتحمل الكيد والمكر من أولياء الشيطان وأعوانه.. وهو في حرصه على الناس. كل الناس. يقرب إليهم كل بعيد من النافع، ويبعد عنهم كل قريب من الضار.. ويضرب المثل بنفسه في كل مايأمر به أو ينهى عنه.. بل إنه يحمل نفسه في أغلب الأحيان مالا يطيقه إلا نبي مرسل، يتلقى الوحي من الله، ويستمد منه العون المباشر.. وهو في كل ذلك ومع ذلك بشر إنسان بكل مشاعر الإنسان وبكل عواطفه، وبكل طموحه إلى السمو والعلو.. وبكل نفوره من القبح والتدهور والهبوط والتدني.. ففيما يبدو من قسوته. إن قسا. رحمة ورأفة، ولم يقس (ﷺ) أبدا.. حتى على الكفار والمنافقين.. وحتى الغلظة التي أمر بها في جهادهم إنما هي لردعهم عن التمادي في طغيانهم وعتوهم للحد من كفرهم ونفاقهم، لكي يتوقف مرض قلوبهم عن الاستفحال رجاء أن يقع في مد كفرهم وجحودهم ونفاقهم جزر يعود بهم إلى الحق والصواب، ولكي ينجاب عن قلوبهم وعقولهم ماكان يرين عليها ويغشاها ويظلمهما من آثام.. فهو (ﷺ) في كل مواقفه وأعماله هاد مرشد لاصخاب ولالعان ولافحاش ولافظ غليظ القلب.. بل هو (رؤوف رحيم) وهما صفتان من صفات الله العليا، واسمان من أسمائه الحسنى... آثره بهما دون غيره، ليكون داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.. وليس بوكيل على أحد وإن كفر، ولابجبار على أحد وإن عصى، ولابمسيطر على أحد وإن نافق.. ومع كل ذلك هو مكلف بالتبليغ والإرشاد فقط، فإن استجيب له، وإلا فليلق الجاهلين بالإعراض عنهم، والله حسبه، وهو وليه وكافيه وحاميه وواقيه من جحودهم وتعنتهم وتوليهم.. وقد فهم كل ذلك (ﷺ)وطبقه كامل التطبيق، فلم يدع على أحد، ولم يرد الأذى بالمثل على أحد، في أحلك حالات الصدود والأذى كان يتوجه إلى الله داعيا:"اللهم اهد قومي فإنهم لايعلمون" في أشد حالات العتو والتجبر والطغيان وهو وحيد طريد في غير بلده وبين قوم هم غير أهله بعيد عن كل نصير أو ظهير.. والسفهاء من أهل الطائف يرجمونه بالحجارة ويسلقونه بألسنة حداد، أوى إلى ظل شجرة يدعو ربه أن يجعل له من ضعفه قوة، وأن يعيذه من غضبه.. وأن يرضى عنه ويعافيه.. في قمة نشوة الظفر والنصر على الأعداء، وفي لحظة الفتح المبين دخل مكة متواضعا حانيا رأسه لله خضوعا وخشوعا.. حتى إذا اجتمع عتاة الجبابرة ينتظرون فيهم قوله الفصل وحكمه الجد لا الهزل، رفع إليهم رأسا تواضع لله فرفعه، وتوجه إليهم بقلب لم يعرف إلا الرحمة والرأفة والحلم والصفح مع العدو والصديق وقال: ... لن أقول لكم إلا ما قال أخي يوسف لإخوته: "لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم .. اذهبوا فأنتم الطلقاء" أبعد كل مالقيه منهم من تشريد ونفي وتدبير مكيدة القتل أو السجن؟! أبعد كل ماعاناه منهم من سخرية وهزء وعيب؟! أبعد أن آذوه في نفسه وأهله وصحبه؟! أبعد أن عابوه في ثمرة رجولته وجبهوه بأن أبتر؟! أبعد كل هذا يدعو لهم بالهداية أولا لأنهم لايعلمون، ثم يطمئن أصحابه بأن الله سيخرج من أصلابهم من يعبد الله ويدعو إليه في المستقبل رغم كفرهم وعنادهم... ثم يلمح ويصرح بأنهم رغم ماسبق منهم من إساءة فاجرة إليه وإلى أقدس ماجاء به، فهم اليوم. بإسلامهم إخوة رغم مابدر منهم.. ولاحرج عليهم.. لقد غفر وسامح وصفح... ولم ينسب الفضل لنفسه، بل نسب الفضل لصاحب الفضل... لله جل جلاله، فهو الذي أمره بذلك.. وهو حسبه في ذلك وفي غيره.. حسبه على كل حال، وهو وكيله في السراء والضراء، وهو الذي يدبر الكون ويسيره كما يشاء بما يشاء لما يشاء... الخلق خلقه والأمر أمره، ولا إله غيره ولارب سواه...

عباد الله! مما علمنا رسول الله (ﷺ) في هذا المجال مما ينفعنا في ديننا ودنيانا وآخرتنا مادعانا إليه: "من قال حين يصبح وحين يمسي: "حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم" سبع مرات، كفاه الله ماأهمه من أمر الدنيا والآخرة" صدق الرسول (ﷺ).. فلنرددها جميعا رجاء فضلها وبركتها، عاقدين العزم على أن نجعلها كلمة صباحية ومسائية تزيدنا صلة أكيدة برسول الله (ﷺ) والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. وصلى الله وسلم وبارك على سيد الأولين والآخرين، محمد النبي الأمي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى جميع عباد الله الصالحين في السموات والأرضين.

عباد الله، رسول الله جاءنا من صميم أنفسنا، لم يعش إلا من أجلنا، وتحمل الكثير من المشقة والعنت ليعلمنا ويطهرنا ويزكينا، عاش لنا ومات وترك فينا مالو اتبعناه لم نضل ولم نزل ولم نجهل أبدا، فهو لنا عز الدنيا وفوز الآخرة: كتاب الله وسنته وسيرته هي المحجة البيضاء التي لايزيغ عنها إلا هالك.. وحال المسلمين وماهم فيه اليوم! هي لأنهم إن أحبوا رسول الله (ﷺ) واحتفلوا بذكرى مولده، فما ذلك إلا بعض مظاهر، لم تنفذ عند أغلبهم إلى القلوب والسرائر وأعماق المشاعر، بذكره واتباع تعاليمه وتطبيقها في الشرائع والشعائر، ورسول الله ينبغي أن يعيش بيننا في ماضينا والحاضر.. كيف؟ لا أجد خيرا من هذه الوقائع أسردها عليكم نقتبس جميعا من أنوارها، ونتعلم منها كيف نحب رسول الله أعمق الحب وأصدقه:

أولا: أخرج الشيخان عن أنس (رضي الله عنه): سأل رجل رسول الله (ﷺ): متى الساعة؟قال: "وماذا أعددت لها؟"قال: لاشيء إلا أني أحب الله ورسوله، قال: "أنت مع من أحببت"قال أنس:فمافرحنا بشيء فرحنا بقول النبي (ﷺ): "أنت مع من أحببت". قال أنس: فأنا أحب النبي (ﷺ) وأبا بكر وعمر (رضي الله عنهم)، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم".

ثانيا: أخرج الطبراني أن طلحة بن البراء (رضي الله عنه) لما لقي النبي (ﷺ) جعل يلصق به ويقبل قدميه، ويقول: يارسول الله مرني بما أحببت ولا أعصي لك أمرا، وطلحة يومئذ غلام، فقال له:"اذهب فاقتل أباك" فخرج مسرعا لينفذ، فدعاه: أقبل فإني لم أبعث بقطيعة رحم" ثم مرض طلحة بعد ذلك، فعاده النبي (ﷺ) في برد وغيم، فلما انصرف قال لأهله: "لا أرى طلحة إلا ميتا، فآذنوني به حتى أشهده وأصلي عليه وعجلوه" فلم يبلغ النبي (ﷺ) نبي سالم بن عوف حتى توفي... وكان فيما قال طلحة: "ادفنوني وألحقوني بربي عزوجل، ولاتدعوا رسول الله (ﷺ) فإني أخاف عليه اليهود أن يصاب بسببي، فأخبر الرسول (ﷺ) بموته حين أصبح، فجاء حتى وقف على قبره، فصف الناس معه، ثم رفع يديه، فقال: "اللهم ألق طلحة تضحك إليه ويضحك إليك.

ثالثا: وأخرج الطبراني والبزار: جاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة (رضي الله عنه) إلى رسول الله (ﷺ)، يقوده وهو شيخ قد عمي يوم فتح مكة، فقال له: "ألا تركت الشيخ في بيته حتى نأتيه؟"فقال: أردت أن يأجره الله، لأنا كنت بإسلام أبي طالب أشد فرحا مني بإسلام أبي، ألتمس بذلك قرة عينك يارسول الله...

بعض جوانب اليسر والتسامح في الإسلام

■ إعداد الأستاذ: حسن اللويزي

الحلقة الثالثة

■ 1. في باب العقائد أن الله تبارك وتعالى أوجب علينا توحيده، في الربوبية والألوهية فأمرنا أن نرضى به ربا ونعبده إلها واحدا.

2. تطبيق الأحكام والحدود، درأ الحدود بالشبهات وسقوطها بالتوبة قبل ظهور الإمام عليها، وعدم قبول القذف بدون أربعة من الشهود.

3. في مجال التشريع أن الله تعالى رفع عنا الأصار والأغلال التي على من قبلنا كالتوبة بقتل النفس، والصلاة في الكنائس دون غيرها من بقاع الأرض، وقرض موضع النجاسة بالمقرض، والرهبانية التي ابتدعوها لأنفسهم ففرضت عليهم.

4. وفرة الرخص العديدة كإسقاط الصلاة عن الحائض والنفساء، وقصر الصلاة للمسافر..

5. في باب المعاملات، إباحة عقود في الشرع تخالف الأصول وتخرج عنها كعقود السلم والإجارة والمزارعة وغيرها مما فيه غرر يسير مغتفر تخفيفا على الناس وتلبية لحاجاتهم ألا ينزل بهم حرج قال (ﷺ): "رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى" (بخ).

6. باب الأخلاق قال تعالى : "وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما". سورةالفرقان/الآية:63 وقال: وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه"سورة القصص/الآية:55. وقوله: "ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم"فصلت/الآية:33.

إن الله ضاعف لنا ثواب الحسنات ولم يؤاخذنا بالهم الأول في السيآت ولا بالخطإ والنسيان وما آتيناه بالاستكراه ولا باللغو في الحلف والأيمان ولا بالفتنة أو النظرة الغير المقصودة حيث وردت في ذلك نصوص قرآنية وحديثية منها قوله عز وجل:"لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم "الآية وقوله (ﷺ): إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به(متفق عليه)، وقوله (ﷺ): "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"، وقوله (ﷺ):"لك النظرة الأولى والثانية عليك".

. أصل الفقه الإسلامي حقوق وواجبات أهل الذمة منها:

أ . الحماية من كل اعتداء داخلي أو خارجي على الدماء والأنفس والأبدان والأموال والأعراض.

ب . الضمان الاجتماعي والعيش الكريم خاصة عند العجز والمرض، روى أبو يوسف في كتاب الخراج أن خالد بن الوليد كتب في عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق (وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله" اهـ. كتاب الخراج.

ج . البقاء على دينهم والتعبد بعبادتهم في كنائسهم وبيعهم، وقد نص الفقهاء على تفاصيل الأحكام الشرعية المتعلقة بهذا الجانب.

د العمل والتجارة فلهم أن يعلموا من الأعمال ويختاروا من المهن مايشاؤون، وأن يعملوا في البيوع والتجارات كالمسلمين.

الواجبات:

1. الجزية وهي ضريبة سنوية يقدر الإمام قيمتها تفرض على الرجال البالغين، وقد اتفق أهل العلم أنه لا جزية على الصبي ولا على زائل عقل ولا على امرأة وإعفاء الفقير العاجز عن أدائها والشيخ الفاني والأعمى.

والجزية من أهل الدمة تقابل زكاة الأموال من المسلمين والجزية ضمن أحكام الزكاة.

2. الخراج هو ضريبة تفرض على رقبة الأرض ويقدر الإمام قيمتها كما فرض عمر ابن الخطاب على أهل الذمة ضريبة تجارية مقدارها نصف العشر في مال التجارة في حال انتقالهم من بلد إلى آخر.

3. احترام الإسلام والمسلمين بمراعاة شعور من يتساكنون معهم ويبرز ذلك في النقط التالية:

أ . عدم التنقيص من الإسلام ونبيه وكتابه.

ب . عدم الدعوة للعقائد المخالفة للإسلام.

ج . عدم التظاهر بتناول المحرمات كشرب الخمر أو بيعها للمسلمين.

د . حسن معاشرتهم والتساكن معهم.

. الاختلاف في الدين واقع بمشيئة الله.

. لايكلف المسلم بمحاسبة الكافرين ولابمعاقبتهم إنما حسابهم إلى الله وجزاؤهم متروك إليه يوم الدين.

. إيمان المسلم بأن الله يأمر بالعدل ويدعو إلى مكارم الأخلاق مع الناس أجمعين ويكره الظلم ويعاقب الظالمين، فالتسامح خلق إسلامي أصيل عامل المسلمون به كل المخالفين في كل الحالات في التساكن وفي السلم والحرب، ونهى النبي (ﷺ) أثناء الحرب عن قتل النساء والولدان(متفق عليه).

وأجمع أهل العلم على أن التفريق في السبي بين الأم وولدها الطفل غير جائز، قال (ﷺ):" من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة" (الترمذي) بل ذهبت طائفة من العلماء إلى عدم التفريق بين الأب وولده ولابين أخويه وأختيه، وأن الجد والجدة في تحريم التفريق بينهما وبين ولد ولدهما كالأبوين.

. لايجبر الطفل على اعتناق الإسلام إن كان مع أبيه، قال مالك (رحمه الله): "إن سبي مع أبيه يتبعه لأن الولد يتبع أباه في الدين كما يتبعه في النسب".

مظاهر السماحة في الإسلام:

من مظاهر السماحة في الإسلام الوسطية والعدل والمساواة والرحمة والإحسان.

1. الوسطية في الاعتقاد: جاء الإسلام وسطا بين الخرافيين الذين يسرفون في الاعتقاد ويصدقون بكل شيء ويعددون الآلهة حتى عبدوا الأغنام والأبقار وألهوا الأوثان من الحجارة وغيرها وبين الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الغيب والحواس ولايستمعون لصوت الفطرة ويخنقون صوتها في صدورهم ولايومنون قط بإله.

فجاء الإسلام بدليل قطعي وبرهان يقيني إلى الإيمان بإله واحد لاشريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد، وهو وسط بين الذين يقدسون الأنبياء حتى رفعوهم إلى مرتبة الألوهية وبين الذين كذبوهم واتهموهم وصبوا عليهم كؤوس العذاب فجاء اعتقاد الإسلام وأخبار القرآن بأنهم بشر أكرمهم الله بالرسالة وأيدهم بالمعجزات.

2. الوسطية في العبادات: جاء الإسلام وسطا بين النحل التي ألغت الجانب الرباني (العبادة والنسك . التأله) من فلسفتها وواجباتها كالبوذية التي اقتصرت على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده، وبين النحل التي من أتباعها التفرغ للعبادة والانقطاع عن الدنيا بالمرة كالرهبانية المسيحية، فجاء الإسلام وسطا بين هذا وذاك.

قال تعالى: "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك"سورة القصص/الآية:77، وقال : يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع"سورة الجمعة/الآية:10.

3. الوسطية في الأخلاق، جاء الإسلام وسطا بين غلاة المثاليين الذين تخيلوا الإنسان ملكا أو شبه ملك، وبين الواقعيين الذين حسبوه حيوانا فأباحوا له كل ما لا يليق بإنسانيته، فجاء الإسلام فأمره بتزكية نفسه وأباح له تلبية رغباته في حدود الشرع.

الوسطية في الحقوق الفردية والجماعية:

جاء الإسلام تلتقي فيه الفردية والجماعية في اتزان رائع متوازن في حرية الفرد ومصلحة الجماعة وتتكافأ فيه الحقوق والواجبات وتتوزع فيه المغانم والتبعات بالقسطاس.

العدل والمساواة:

إن دين الإسلام جاء برسالة عامة لكل بني الإنسان، خالدة وصالحة لكل زمان ومكان، يحملها نبي مرسل إلى كل الناس، فأتى بتشريعات عادلة يطمئن إليها كل من ينظر إلى حق الحياة بإنصاف ويستظل بظل عدالتها كل من لم يواجهها بالعداء والعناد، والإنصاف والعدل مع الكافر الجار وغير الجار وإسداء الخير له إن لم يكن محل ربا، يقول عز وجل: :لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم.." الآية.

❖ رحمة الله العامة كإطعامه إن جاع، وسقيه إن عطش، ومداواته إن مرض، وإنقاذه من تهلكة تعرض للوقوع فيها، وتجنبه الأذى.

. عدم إذايته في ماله أو دمه أو عرضه إن كان غير محارب لقوله (ﷺ): "من آذى ذميا فأنا خصمه يوم القيامة"(مسلم).

❖ جواز الإهداء إليه وقبول هديته وأكل طعامه إن كان كتابيا لقوله عز وجل: "وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم" وقد روي عن النبي (ﷺ) أنه كان يدعى إلى طعام يهود بالمدينة فيجيب الدعوة ويأكل مما يقدم له من طعامهم.

❖ جواز معاشرتهم بتزوج الكتابيات من نسائهم. قال تعالى: "والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم..."الآية.

❖ تشميته إذا عطس وحمد الله تعالى بقولنا له يهديكم الله ويصلح بالكم.

❖ التأدب معه في الدعوة والحوار يقول عز وجل:"ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة".

❖ التسوية بين المسلمين وغيرهم أمام القضاء والقانون فلا تمييز لدين على دين أو ثقافة على أخرى أو جنس، بل أمر الله المومنين بإقامة العدل بين الناس جميعا دون اعتبار دين أو جنس أو لون يقول عز وجل إن الله يامركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها"سورة النساء/الآية:58، ويقول : "يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط"سورة المائدة/الآية:8 وقال (ﷺ):" من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة"البخاري.

❖ التسوية بين المسلمين وغيرهم أمام الحقوق العملية فجعل لغير المسلمين فرصة العمل وحرية التوظيف في الوظائف المختلفة بما فيها التعليم، فلم يجعل الاسلام مهنة التعليم حكرا على بنيه دون الاخرين فمكن المسلمين وغيرهم من امتلاك ناصية العلم في كثير من التخصصات.

إن الإسلام وسماحته شمل غير المسلمين بجو من المشاركة الاجتماعية والمودة والمجاملة والخلطة فأحل طعامهم للمسلمين وطعام المسلمين حلال لهم ليتم التزاور والتضايف والمؤاكلة وليظل المجتمع كله في المودة والسماحة، وليجعل العفيفات من نسائهم طيبات للمسلمين ويقرن ذكرهن بذكر الحرائر العفيفات من المسلمات وهي سماحة لم يشعر بها إلا أتباع الإسلام.

7. نموذج لسماحة رسول الله (ﷺ):

1. نجد الرسول (ﷺ) حين فتح مكة ظافرا بالانتصار لم يتيسر لقريش الإسلام ولم يفكر (ﷺ) من الانتقام من صناديد قريش كأبي سفيان والأعداء الذين آذوه ومكرو له أشد المكر وإنما قال لهم:" يامعشر قريش ماذا تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال:" اليوم أقول لكم ما قال أخي يوسف من قبل: لاتثريب عليكم، اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، إذهبوا فأنتم الطلقاء".

2. نجده (ﷺ) في بعض الحروب يرى امرأة من الأعداء مقتولة فغضب وأنكر وقال:" ألم أنهكم عن قتل النساء ماكانت هذه لتقاتل.

3. ونجده (ﷺ) وقد كان له جيران من أهل الكتاب يتعاهدهم ببره ويهديهم الهدايا ويتقبل منهم هداياهم حتى إن امرأة يهودية دست له السم في ذراع الشاة أهدتها إليه..

4. نجده (ﷺ) حين وفد عليه نصارى أنزلهم (ص) في المسجد وقام بنفسه على ضيافتهم وخدمتهم وقال (ﷺ): إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين فأحب أن أكرمهم بنفسي.

5. نجده (ﷺ) مع وفد نصارى نجران قد أنزلهم في المسجد وسمح لهم بإقامة صلاتهم فيه فكانوا يصلون في جانب منه والمسلمون يصلون في جانب آخر وحين ناقشوه في الدفاع عن دينهم استمع إليهم وجادلهم برفق وأدب وسماحة وخلق.

6. دعا (ﷺ) غلاما يهوديا مريضا حتى إن والده لم يملك تقديرا لهذا الجميل إلا أن يشجع ولده على قبول الدعوة النبوية واعتناق الإسلام.

7. نجده (ﷺ) قد انتقل إلى الرفيق الأعلى ودرعه مرهونة عند يهودي وفي ذلك أعظم دلالة على حسن التعامل وخصوصا مع وجود غيره من الصحابة الأثرياء الذين يفدونه بأرواحهم وأموالهم.

والخلاصة فإن الإسلام جاء لينقذ الشعوب كلها من الشقاء ولم يميز جنسا عن آخر ولا لونا على لون شعاره قوله عز وجل:" الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابين من آمن بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون"سورة البقرة.

حيث حقق الإسلام الأخوة الإنسانية وإقامة شريعة العدل وتأمين الناس على أرواحهم وأموالهم وإباحة حرية العبادة لهم وإقامة شعائرهم الدينية وجعل القرآن هو القانون الأساسي السائد على الجميع لأنه قانون لا يحابي أحدا ولايتحيز لأي جانب...

القرآن معجزة الله الخالدة

■ إعداد الاستاذ: مراد الخروبي

■ أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على نبيه (ﷺ) منجما على امتداد ثلاث وعشرين سنة، وهو يشتمل على تعاليم الإسلام، وتشريعاته وأخلاقه السامية، وقيمه الخالدة، وكل ما يتعلق بالأمور الدنيا والآخرة.

يقول الدكتور محمد فاروق النبهان في هذا الصدد: (القرآن هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وهو المصدر الأصيل الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولايتطرق الشك إلى آية من آياته، ينسخ المصادر الأخرى ولاتنسخه، ويحتج به على من عداه ولا يحتج عليه، وما ورد في القرآن فهو قرآن وهو كلام الله، وتتمثل مهمة البشر في تفسيره وبيان ماورد فيه...) ويسعدنا أن نضيف إلى قول الدكتور فاروق النبهان مايلي:

القرآن الكريم هو كلام الله وهو حبله المتين الممدود من السماء إلى الأرض الذي يوجد طرف منه بيده الله تعالى والطرف الآخر بأيدي عباده المؤمنين.

فمن تمسك به نجا، ومن أعرض عنه هلك، وهو يمثل أسمى دستور إسلامي عند المسلمين وأقدس نص تشريعي على الإطلاق، وقد تكفل الحق سبحانه بحفظه من التحريف والتغيير، فلم يدركه بالتالي ما أدرك بقية الكتب السماوية الأخرى من تزييف وتبديل، وضياع وعبث طالها بالإهمال تارة وطورا بالتغيير المتعمد. وقد حظي القرآن الكريم بالمحافظة على نصه الأصلي سالما كما أنزل أول مرة بواسطة الملك جبريل عليه السلام على الرسول (ﷺ) والسبب في ذلك الأمر يعود إلى كونه محفوظ في الصدور تحرسه العناية الإلاهية، وتتولى رعايته وصيانته منذ لحظة نزوله وإلى قيام الساعة، قال تعالى :(لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه)سورة القيامة/الآيتان:17و18 وقد ظل كذلك طريا غضا منذ أكثر من 15 قرنا من الزمن لم يدركه البلي على الإطلاق، ولم يخلق على طول عهده وكثرة استعماله، فلم تمله النفوس، ولم تسأم منه الأرواح، وهذه إحدى المعجزات الكبرى قال تعالى : "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" وهكذا فإن صدق هذه الآية على صعيد الواقع العملي منذ لحظة نزولها وإلى الآن يدل كذلك على صدق القرآن ككل لايتجزئ، وهي دليل آخر على مصدره الإلاهي لكل كنود، وملحد متجبر، وقد لقي القرآن الكريم احتراما وتقديسا من المؤمنين على مر العصور وامتداد الدهور منذ البعثة النبوية وإلى يومنا هذا ولا يزال يحظى بنفس المكانة العالية التي لقيها منذ نزوله، وإلى قيام الساعة لما انطوى عليه من تعاليم سامية، ومبادئ أخلاقية، وقواعد اقتصادية، ونصائح اجتماعية وحكم بلاغية، ونظم تشريعية، وسعت كل شيء علما، وشملت مختلف متطلبات الحياة وكافة ظروفها ومستجداتها، وتقلباتها واستقرارها، بفضل فتح باب الإجتهاد في وجه المتخصصين وما أفرزته دراساتهم المتأنية في إطار مقاصد الشريعة الخمسة من حلول صالحة لكل زمان ومكان، استغرقت في شموليتها تنظيم أمور المسلمين بعضهم مع بعض وكذا فيما بينهم وبين غيرهم من الأمم الأخرى من أصحاب الديانات وسواهم من باقي الأجناس سواء في زمن الحرب أو السلم، ولا غرابة في هذا ما دام كتاب الله كما نعلم لايخلق على طول التداول ولاتنقضي عجائبه، لكونه منزل من لدن حكيم عليم، على قلب رسول كريم، ولا يوجد فيه تناقض ولا اختلاف، ولا خلل ولا اعوجاج، لكون مصدره من الله تعالى قال سبحانه في معرض هذا الأمر: (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) سورة التوبة/الآية:81.

أما عن مكانته الأدبية فقد امتاز كتاب الله تعالى ببلاغته الرفيعة، وأساليبه البديعة، وألفاظه الرصينة، ومفرداته المضيئة، التي يستحيل على بشر أيا كان أن يقلدها أو يحاكيها، أو يعارضها أو يجاريها، أو يقاربها أو يدانيها، أو يأت ولو بآية من مثلها، تشبهها أو تضاهيها، في معناها وتركيبها، وإعجازها وأسلوبها، ومراميها وأبعادها.

قال تعالى متحديا خلقه في ذلك: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لاياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)سورة الإسراء/الآية:88

وبالفعل فقد حاول عدد كبير من البلغاء، وأصحاب الأغراض والملل، والأهواء والنحل، أن يقلدوا القرآن على مر الأزمان والقرون، والدهور والعصور فخسروا في أمرهم، وفشلوا في سعيهم وظهر عجزهم، وحاقت بهم الهزائم تلو الهزائم، وتعرضوا للسخرية والصغار، والذل والهوان، والنبذ والإحتقار، وهذا أيضا من معجزات هذا الكتاب الخارقة، الدالة على مصدره الرباني.

معجزة القرآن ومكانتها
من بين باقي المعجزات:

لإدراك معجزة القرآن، ومكانتها من بين باقي المعجزات الأخرى، يحسن بنا أن ننظر إلى ماسبقه من معجزات سماوية منذ القدم وعبر مسار التاريخ الطويل.

فالمعجزات السابقة التي أيد بها الله تعالى رسله الكرام عليهم السلام كانت تنتهي بمجرد أداء رسالتها التي جاءت من أجلها ألا وهي مؤازرة أصحابها لكي يصدقوهم أقوامهم فيما يعرضون عليهم.

وهكذا فالعصا التي كانت تتحول إلى حية تسعى في عهد موسى عليه السلام انتهى أمرها في وزمانها ومكانها بعدما قدمت البرهان القاطع، والدليل الساطع على صدق صاحبها، فلا أحد يمكنه بعد ذلك أن يراها من جديد لكونها لن تكرر أبدا. وكذلك الشأن بالنسبة لباقي المعجزات.. كانفلاق البحر واليد البيضاء والدم...إلخ.

ونفس الشيء نجده بالنسبة لمعجزات عيسى عليه السلام كإحياء الموتى. والخلق من الطين كهيأة الطير ثم النفخ فيه بعد ذلك ليصبح طائرا يطير بإذن الله.

وإخبار عيسى عليه السلام للناس بما يأكلون ومايدخرون في بيوتهم ونزول المائدة من السماء.

وكذلك الأمر بالنسبة لمعجزة النار التي ألقى فيها إبراهيم الخليل عليه السلام فلم تحرقه وخرج منها سالما دون أن يصيبه منها أي أذى أو مكروه، لكون الله تعالى نزع عنها خاصية الإحراق بقدرته وقوله كن.

وهكذا نجد بأن جميع المعجزات السابقة قد انقطعت بمجرد ما أدت وظيفتها في الدلالة على صدق رسل الله فيما جاؤوا به. وقد اقتصرت كل معجزة على القوم الذين أرسلت إليهم بخلاف القرآن الكريم فقد أراد له الحق سبحانه أن يكون معجزة للناس كافة ولذلك اختار له الله تعالى الدوام والتمكين والشمولية والإستمرار والخلود، وعدم الانقطاع والاندثار، وهكذا جعله معجزة متجددة في أسراره وعلومه، وبلاغته وإعجازه، وبيانه وفصاحته، وكنوزه الخفية، وبصائره الظاهرة، وخفاياه الباطنة، والتي يوجد من بينها ما كشف العلم عن بعضه إلى جانب البعض الآخر الذي لازال لم ينكشف بعد، غير أنه سينكشف مع مرور الزمن زيادة في الإعجاز، ودلالة ساطعة على المصدر الإلاهي، والمنبع الرباني، مصداقا لقوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق).

المملكة المغربية
وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية
المجلس العلمي لجهة الشاوية ورديغة

برنامج الندوة العلمية حول موضوع: (قراءة وتقديم لكتاب: ماذا تعرف عن فقه الجمعة والاستدلال عليه؟)

المدينة	اسم المحاضر	المكان	التاريخ	التوقيت
ابن سليمان	ذ.محمد المغراوي ذ. عبد الوهاب العمراني ذ. إبراهيم إمونان	دار الشباب	السبت 2003/05/17	السابعة مساء
إبي الجعد	ذ. محمد حسني ذ.محمد الفرساوي ذ. عبد الوهاب العمراني ذ.إبراهيم إمونان	دارالشباب	الثلاثاء 2003/05/20	السابعة مساء
سطات	ذ. حسن اللويزي ذ. الجيلالي العكاري ذ. عبد الوهاب العمراني ذ. إبراهيم إمونان	الخزانة البلدية	السبت 2003/05/21	السابعة مساء
خريبكة	ذ.محمد حسني ذ. محمد الفرساوي ذ.عبد الوهاب العمراني ذ. إبراهيم إمونان	دار الشباب	الجمعة 2003/05/30	السابعة مساء

أولوا العزم من الرسل

موسى عليه السلام

■ الأستاذة: نبوية الناصري

انضم لموسى وهارون اثنان من القوم. تقول كتب القدماء إنهم خرجوا في ستمائة ألف، لم يجد موسى من بينهم غير رجلين على استعداد للقتال، وراح الرجلان يحاولان إقناع القوم بدخول الأرض والقتال، قالا: إن مجرد دخولهم من الباب سيجعل لهم النصر، ولكن بني إسرائيل جميعا كانوا يتدثرون بالجبن ويرتعشون في أعماقهم، جاء في قوله تعالى: (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين) سورة البقرة الآية:58.

أدرك موسى أن قومه ما عادوا يصلحون لشيء، مات الفرعون ولكن آثاره في النفوس باقية، عاد موسى على ربه يحدثه أنه لا يملك إلا نفسه وأخاه، دعا موسى على قومه أن يفرق الله بينه وبينهم، وأصدر الله تعالى حكمه على هذا الجيل بالتيه أربعين عاما.

بدأت أيام التيه، بدأ السير في دائرة مغلقة، تنتهي من حيث تبدأ، وتبدأ من حيث تنتهي، بدأ السير إلى غير مقصد ليلا ونهارا وصباحا ومساء، دخلوا البرية عند سيناء وظل بقاؤهم فيها من عهد خروجهم من مصر إلى أن مات موسى وهارون عليهما السلام.

رغم ما حدث، مكث موسى في قومه يدعوهم إلى الله، ويبدو أن نفوسهم كانت ملتوية، وتبدو لجاجتهم وعنادهم فيما يعرف بقصة البقرة.

حادثة البقرة مع بني إسرائيل:

أصل قصة البقرة أن قتيلا ثريا وجد يوما في بني اسرائيل، واختصم أهله ولم يعرفوا قاتله، وحين أعياهم الأمر لجئوا إلى موسى ليلجأ لربه، ففعل فأمره سبحانه وتعالى أن يأمر قومه أن يذبحوا بقرة، وكان من المفروض هنا أن يذبح القوم أول بقرة تصادفهم، غير أنهم بدءوا مفاوضتهم باللجاجة، واتهموا نبيهم بالسخرية منهم، واستعاذ موسى بالله أن يفعل ذلك، وأفهمهم أن حل القضية يكمن في ذبح بقرة، عادوا إلى مراوغتهم وعذبوا نبيهم إلى أن حددت البقرة بأنها صفراء، وأنه ليست معدة لحرث ولا لسقي، وأخيرا وجدوها عند يتيم.

جاء في سورة البقرة: " وإذ قال موسى لقومه، إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، قالوا أتتخذنا هزؤا، قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين(67) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي، قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر، عوان بين ذلك، فافعلوا ما تومرون (68)، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها، قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين(69)، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي، إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون(70)، قال إنه يقول إنها بقرة ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث، مسلمة لاشية فيها، قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون(71)".

ونلاحظ هنا سوء أدب القوم مع نبيهم وربهم، ولعل السياق القرآني يورد ذلك عن طريق تكرارهم لكلمة "ربك" التي يخاطبون بها نبيهم موسى، وكان الأولى بهم أن يقولوا لموسى تأدبا: "ادع لنا ربنا"، فكأنهم يقصرون ربوبية الله تعالى على سيدنا موسى وحده ويخرجون أنفسهم من شرع عبادة الله، وتلك صورتهم على مائدة المفاوضات مع نبيهم الكريم سيدنا موسى.

لقاء سيدنا موسى بسيدنا الخضر عليهما السلام: قام موسى خطيبا في بني إسرائيل، يدعوهم إلى الله ويحدثهم عن الحق، بعد أن انتهى من خطابه سأله أحد المستمعين من بني إسرائيل: (هل على وجه الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله؟)، قال موسى مندفعا: "لا"، وساق الله عتابه لموسى حين لم يرد العلم إليه، فبعث إليه جبريل يسأله: (يا موسى ما يدريك أين يضع الله علمه؟ أدرك موسى أنه تسرع، وعاد جبريل عليه السلام يقول له:(إن لله عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك).

تاقت نفس موسى الكريمة إلى زيادة العلم، وانعقدت نيته على الرحيل لمصاحبة هذا العبد العالم، سأل كيف السبيل إليه.. فأمر أن يرحل، وأن يحمل معه حوتا في مكتل أي في سلة، وفي المكان الذي ترتد فيه الحياة لهذا الحوت ويتسرب في البحر سيجد العبد العالم، انطلق موسى ومعه فتاه وليست لديهما أية علامة على المكان الذي يوجد فيه سوى معجزة ارتداد الحياة للسمكة القابعة في السلة وتسربها إلى البحر.

ومع أن الله تعالى قد خص نبيه الكريم موسى عليه السلام بأمور كثيرة، فهو كليم الله عز وجل، وأحد أولي العزم من الرسل، وصاحب معجزة العصا واليد، وأنزل عليه التوراة دون واسطة، وإنما كلمه تكليما، هذا النبي العظيم، نجده يتحول في القصة إلى طالب علم متواضع، ومن يكون معلمه غير هذا العبد الذي يتجاوز السياق القرآني اسمه، وإن حدثتنا السنة المطهرة أنه هو الخضر عليه السلام، كما حدثتنا أن الفتى إنما هو يوشع بن نون.

سيدنا الخضر عليه السلام:

هو إيليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح عليهما السلام، ولقب بالخضر كما ورد في الحديث الشريف عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز تحته خضراء)، وقال سفيان بن منصور عن مجاهد: (إنما سمي الخضر لأنه أينما صلى اخضر ما حوله، وقد ساح الخضر في أرض الله إلى أن وصل جزر البحر عند مجمع البحرين (بحر فارس والروم)، فأقام فيها يعبد الله وكان رزقه يأتيه من عند ربه رغدا.

ومع منزلة موسى العظيمة إلا أن الخضر كان يرفض صحبة موسى، وذلك لأن الله أتاه علم الغيب، وقد أفهم سيدنا موسى أنه لن يستطيع معه صبرا، ولم يوافق على صحبته إلا بشرط ألا يسأله عن شيء حتى يحدثه هو عنه.

ويظهر عزم موسى عليه السلام على العثور على هذا العبد العالم ولو اضطره الأمر أن يسير أحقابا، قيل إن الحقب عام، وقيل ثمانون عاما، على أية حال فهو تعبير عن التصميم لا عن المدة على وجه التحديد.

قال تعالى في سورة الكهف: "وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا (60)، فلما بلغا مجمع بينهما، نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا(61)، فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا(62)، قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا(63)، قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا|(64)، فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما(65)".

قال ابن عباس(ض:) (أوتي الخضر عليه السلام علم الغيب، فأتاه موسى وهو قائم يصلي على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح بثوب أخضر في جزيرة من جزر البحر، وبعد انتهائه من الصلاة قال الخضر: السلام عليك يا موسى بن عمران - فقال موسى أيها العبد الصالح من أين عرفتني؟ قال الخضر: عرفني بك من عرفك بي - يا موسى سل عما تريد - "قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا(66)، قال إنك لن تستطيع معي صبرا(67)"، سورة: الكهف، لأني أعلم علم الباطن، وهو علم علمنيه الله تعالى، وأنت تعمل على الظاهر- "وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا(68)، قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا(69)، قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا(70)"، سورة: الكهف.

خرق السفينة قال ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بدون أجر: فلما دخلوا البحر أخذ الخضر عليه السلام فأسا فخرق لوحا من السفينة حتى دخلها الماء فحشاها موسى بثوبه، "قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا(71)، قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا(72)، قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا(73)" سورة الكهف.

تأملات وخواطر

■ محمد الخضر الريسوني

إنسانية محمد وخلقه القرآن

مولد النبي الكريم محمد عليه الصلاة والسلام.. مولد الهدى والنور والرحمة المهداة سيظل نبعا فياضا وعطاء مستمرا وعبقا متدفقا يعطر جنبات الحياة بكل زكي وكريم وجليل من صفوة القيم السامية والمثل العليا والخلق العظيم ، سيظل المولد النبوي رمزا لانتصار الحق وانطلاقا للعلم والخير والأمان وارتفاعا بكرامة الانسان عن الدنايا والشتات، وسموا به إلى آفاق النور والجلال،

ومن هذه الذكرى .. ذكرى المولد نقتبس من سيرة الرسول صورا مشرقة لتلك الأخلاق العظيمة التي وصفه بها الله سبحانه بقوله : « وإنك لعلى خلق عظيم" فلنقترب إذن إلى "إنسانية " محمد لننهل منها دروسا لحياتهنا ومعاملاتنا وسلوكنا مع الناس. لقد سئلت عائشة عما كان يفعله الرسول في بيته فقالت في جواب انساني رائع: « لقد كان بشرا كالبشر، وهذا هو سر عبقريته التي كان يتميز بها لأنه يعرف كيف يوفق بين جوانب الحياة ويعتبر" مصلحة المجتمع العليا أساس العقيدة الأسلامية ، ومن هنا اعتبر الأمام مالك " مبدأ " المصالح المرسلة" وتحكيم العادات ، كما اعتبر عليه الصلاة والسلام بأن ضابط السمو الروحي كامن في عدم المساس بحقوق الغير وكرامة الغير، وان المؤمن الحق لا يكذب وان محبطات أعمال المؤمن اغتياب أخيه الانسان وقذف المرأة المحصنة ، وقد دخلت يهودية قصيرة القد على الرسول وعنده زوجته عائشة فتبسمت استخفافا فغضب عليه الصلاة والسلام وقال:" ياعائشة ، لقد نطقت بكلمة لو مزجت بماء البحر لما زجته، وكان صلى الله عليه وسلم « سباقا إلى المروءة في الدين حيث دعا إلى الرفق بالمرأة«رفقا بالقوارير » وجعل من المرأة ربة البيت المسؤولة على شؤونه ، وأحاطها بعطفه فدللها، وأناط بها اختيار شريك حياتها مع أخذ حقها المالي كاملا ، في حين أن المرأة الغربية لازالت ترزح في القرن العشرين تحت ثقل نظام الشراكة الزوجية ، وعزز الرسول التعادلية الاقتصادية بنظام الزكاة الذي يقتطع من الغني ربع عشر ماله ، لفائدة الفقير دون أن يؤدى الأمر بهذا الفقير إلى تكاسل عن الكسب لأن الكسب عبادة ، ولأن الكد على العيال من أكد القربات ، وقد قال عليه السلام: لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه، لقد كان صاحب الذكرى إنسانا قبل أن يكون نبيا، كان في سريرة نفسه إنسانا يخطئ ويصيب، خضع للضعف الأنساني فذرف الدمع السخين يوم مات ابنه إبراهيم ، وهو قد عانى الحب والبغض كسائر الناس وتوجع من ظلمات الخطوب ، وتألم من غدر الناس والأصدقاء.

نحبك يارسول الله لأنك لست إلا إنسانا له ذوق وإحساس ، نحبك وتشتهي أن نتخلق بأخلاقك السامية ، نحبك لأنك أعلنت حبك لطيبات الحياة، وأنكرت الرهبته والانزواء في المعابد والصوامع، نحبك لأنك أعززت الشخصية الانسانية يوم اعترفت بأنها صالحة للخطأ والصواب .. وكنت يارسول الله إنسانا قبل أن تكون نبيا ، وتلك الانسانية فهي التي فتحت صدرك للصفح عن هفوات الناس...

الوجودية

■ إعداد الأستاذ: محمد الشرقاوي

الحلقة الرابعة

■ الوجودية مذهب أو اتجاه فكري يعنى بالبحث في الوجود الإنساني، ويصورها « يجيس جوليفييه» بأنها اعتقاد أساس وجود الإنسان هو ما يفعله، بمعنى أن أفعاله هي التي تحدد وجوده، كما قال سارتر: « أنا موجود فأنا أفكر» على عكس ما قال ديكارت : « أنا أفكر فأنا موجود».

إن هذا المذهب ليس جديدا ، فقد اهتم به كثيرون من الفلاسفة قديما ، وأبرزهم حديثا هو (كير كجارد) الدانماركي المتوفي سنة 1855 وآخرهم (سارتر) الفرنسي المتوفي سنة1980 . والذين درسوا تاريخ هؤلاء يتبين لهم أن ظروف حياتهم هي التي أملت عليهم هذا الاتجاه في التفكير فقد كان (كيركجارد) منطويا على نفسه منعزلا، ولذلك حلل الوجود البشري تحليلا يعيش في جو الحرص النفسي والتمزق الداخلي والشعور بالخطيئة . وكذلك سارتر ، اهتم اهتماما كبيرا بفكرة العدم باعتباره داخلا في نسيج الوجود . فالفرد عنده يعيش في مواقف تتصف بالتميع، ويحاول أن يتخطى حدود نفسه ويخدعها ، ومن أجل أن وجوده مرتبط بوجود الآخرين ، يرى تصارع إرادتهم مع إرادته في جو كله غثيان. والفرد يسعى جاهدا إلى تحقيق رغباته، لكن ذلك غير ممكن ، لأن إمكاناته لا تسعفه.

وبعض المعتنقين لهذا المذهب ، يؤمنون بوجود الله الذي خلق الإنسان، لكن ، يرون أنه رمي به في تيه يعيش فيه بين الألم والخوف والقلق ومن هؤلاء كيرتجارد وجبريل مارسيل.

- وبعضهم لا يؤمنون بأن الله خلق الانسان ، بل هو الذي خلق نفسه بنفسه، وذلك لعدم اليقين بمصدر وجوده الحقيقي، ومنهم هيدجروسارتر.

- ويمكن أن نحدد أهم الصفات المميزة للوجوديين فيما يلي:

1 - الإيمان بأن التجربة الفردية هي أساس المعرفة ، وليس العقل أو غيره موصلا إلى معرفة الحقيقية.

2- الإغراق في تقديس الحرية الشخصية فكرا وسلوكا، وعدم الاهتمام بالآخرين بقدر الاهتمام بالنفس، ولذلك كثر فيهم الشذوذ ، والتطرف ، والآراء الغريبة ، والانسان هو صانع وجوده بنفسه لأنه رب أفعاله.

3- التشاؤم والقلق والتمزق ، فالوجودي يحاول أن يخلع نفسه ليعيش نفسا أخرى ، لأنه إما أن يكون قد قذف به في الكون وترك مع الطوفان بلامدد أو وقاية، كما يقول الملحدون، وإما أن يكون الله قد ترك له حرية الاختيار ، وإن كان الاختيار وحده محددا بحواجز خارجة عن إرادته ، وهو يشعربها عند الفشل والمقاومة، فالوجود عندهم يتأرجح دائما بين الوجود والعدم . أو بين الاختيار والجبر.

4 - وهي تجرد الإنسان من كل ثقة في الحياة، وتهدم كل أساس ينطلق منه العمل، يقول (هيدجر): إننا قد ألقي بنا إلى هذا العالم ولست أعرف لماذا ولا كيف، والشيء الوحيد الذي أعرفه حق المعرفة ، هو أنني سأموت يوما من الأيام ، فالإنسان مستقبله محدود ومُتَنَاه، وأنا أعرف ذلك.

5 - وكان لهم تعبيرات غريبة عن التجربة الفردية ، التي يعيشونها، يقول عنها (كارل ياسبرز) إنها الإحساس بمدى هشاشة الوجود الإنساني، ويقول عنها (هيدجر) : هي المضي نحو الموت. ويقول عنها سارتر : الإحساس بالغثيان والتقزز.

6 - تقوم الوجودية على إنكار وجود الله، وبالتالي إنكار الحياة بعد الموت ، أو على عدم الرضى بقضاء الله وحكمته في الوجود. وأنه بقدرته يمكن أن يغير أي حال إلى حال آخر، الأمر الذي جعلهم يعيشون حياة القلق والتشاؤم والاهتمام بالذات وانتهاز الفرص...

بعد هذا العرض الموجز لمذهب الوجودية من كتاب بيان للناس من الأزهر الشريف في جزئه الثاني ، يقول مؤلفه أو مؤلوفه: إن الناظر إلى هذا الفكر يراه مخالفا للإسلام وذلك لما يأتي:

أ - أن الإسلام يقوم على الإيمان بوجود الله وبالحياة الآخرة بعد الموت ، فالعدم ليس نهاية الوجود كله، بل إن الحياة الآخرة خير لمن اتقى واستقام أمره في الدنيا.

ب - ليست وسائل المعرفة الصحيحة قاصرة على إحساس الفرد نفسه بما يعانيه من تجربة فهناك العقل، وميدان التفكير واسع غير محدود ، وهناك الوحي المنزل من الله على رسله.

ج - ليست الحرية الشخصية في الإسلام حرية مطلقة بغير حدود، فهناك ضوابط موضوعة لاستقامة السلوك، وللمحافظة على حقوق الآخرين ، فالانسان مدني بطبعه.

د . الإسلام لايرضى عن التشاؤم المطلق، أو اليأس المقنط ، بل فتح باب الأمل ، ودعا إلى النشاط والعمل، ووعد بالعفو عن المسيء إذا أناب إليه.

- وكل ذلك له أدلته من الكتاب والسنة، وآثار السلف، وواقع التاريخ الذي أثبت أن المسلمين انطلقوا بإيمانهم العميق بالله وبالحياة الآخرة وبالأمل الواسع في نصره وتأييده وبالتزامهم الصادق للحدود التي وضعها الله للسلوك.

- ولا حاجة بالمسلمين اليوم إلى استيراد أفكار وفلسفات وأنماط سلوك وضعية هي نتاج عقول تخطيء وتصيب ، وهي نظم لمعاناة شخصية في ظروف خاصة. وختم صاحب أو أصحاب كتاب: بيان للناس من الأزهر الشريف في جزئه الثاني، بهذه الآية الكريمة : (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) سورة المائدة / الآية 50.

. يقول (بول فولكييه) في كتابه « هذه هي الوجودية » : إن غموض شخصيات من اعتنقوا هذا المذهب جعل تعبيراتهم غامضة ، وليس من السهل فهمها أو تحديدا المعاني المرادة منها ، ولذلك لما اعترض على سارتر بهذا الغموض، قال: « لاعجب في عدم فهم ما أكتب ، لأن الواقع محال، ولا يدركه الفهم».

ويعلق المؤلف على هذه الفقرة الأخيرة بقوله : أمثل هؤلاء يتخذون زعماء ؟! بتصرف بسيط من كتاب: بيان للناس من الأزهر الشريف. الجزء الثاني.

نفحات من نسمات القدسية محمد رسول الله ، والذين معه ..

■ إعداد الأستاذ: أبو يس عبد الرحمن

الحلقة الرابعة

وكان يأمر بالزواج وهو من سنته وشرعه:

تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم ، وقد نهى عن التبتل وقمع الشهوة بالرهبانية لأنها ليست من سنته ومن رغب عن سنته فليس منه.

ومن كان ذا طول ليتزوج فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، وقد قرر مفخرة المغرب القاضي عياض رحمه الله تعالى في كتابه الشهير (الشفا للتعريف بحقوق المصطفى) وحقق أن درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي العليا بين الأنبياء ، لأنه تزوج النساء وأحبهن وكرمهن وأكثر من الزواج ولم يشغله ذلك عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته إياهن بل صرح أنهن لسن من حظوظ دنياه هو وإن كانت من حظوظ دنيا غيره فقال عليه صلاة الله وسلامه وعلى آله وصحبه: «حُبِّبَ إلي من دنياكم....» فدل أن حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين هما من أمر دنيا غيره ، واستعماله لذلك ليس لدنياه بل لأخرته أما قرة عينه فقد جعلت في الصلاة .. وما سن الزواج وأكده واعتبره نصف الدين إلا لتحصين النفوس والعقول والأبدان والمجتمعات والأمة كلها مبنى ومعنى.. حفظا لكل ذلك من الفاحشة.

وهاهي نتيجة الفاحشة على لسانه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فيما . أخرجه ابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما : « ماظهرت الفاحشة في قوم ، حتى يعلنوا بها . إلا ابتلاهم الله بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا».

وقد أخرجه أيضا الحاكم عن عبد الله بن عمر : « كنت عاشر عشرة رهطٍ من المهاجرين عند رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فقال: يا معشر المهاجرين ، خمس خصال أعوذ بالله منهن وأعوذ بالله أن تدركوهن : ماظهرت الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا ، ومانقص قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، فلولا البهائم لم يمطروا ومانقص قوم المكيال والميزان إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤونة وجَوْر السلطان، وما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوٌ من غيرهم ، ولم تحكم أئمتهم بغير ما أنزل الله إلا جُعل بأسهم بينهم شديدا».

- أما حب الجاه والعلو في الناس بغير حق فإنه يؤدي إلى الاختيال والفخر، وهما خصلتان يكرههما الله ويكره أصحابهما وأمثال هؤلاء لايعبدون الله إلا نفاقا وشقاقا ، ولاينفقون أموالهم إلا رياء الناس، ورسول الله محمد بن عبد الله هو الشهيد على أمته ... وأمته كل فرد فيها شهيد على نفسه وعلى غيره وعلى الأمة كلها لأنهم عدول فيما بينهم تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ..ذاك جاههم ، وتلك شهادتهم : إنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله يَدْعون إلى ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلون بالتي أحسن ويعفون ويصفحون ويقولون سلاما وإذا مروا باللغو مروا كراما... جاههم العظيم في أنهم لايزكون أنفسهم لأنهم يعلمون أن الله يزكي من يشاء بهداه وبفضله ورحمته ..جاههم وفضلهم في دنياهم بدينهم وبرجائهم ما عند الله : يؤدون الأمانات إلى أهلها وإذا حكموا بين الناس حكموا بالعدل، جاههم أنهم مؤمنون حقا، بإيمانهم يعتزون ويفخرون ، بطاعتهم لله ورسوله وأولي الأمر منهم يعملون وإن تنازعوا في شيء ردوه إلى الله والرسول ، فهو أحسن التأويل وهو الخير.. وذلك عزهم ومجدهم وجاههم حتى لا يفشلوا وتذهب ريحهم.. قد يظلمون أنفسهم أحيانا بالخطأ واللمم ولكنهم دائما يعودون إلى طاعة الله ورسوله فيستغفرون الله.. فيجدون الله دائما توابا رحيما .. لا يجدون حرجا في قضاء رسول الله في سنته بما قضى الله في كتابه ويسلمون تسليما.. ذاك جاههم وعزهم وذاك مجدهم ،ذاك علو شأنهم بين الأمم .. لأنهم بطاعتهم لله ورسوله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، وذلك الفضل من الله ، وكفى بالله عليما.. فهل بعد هذا جاه أو مجد أو عز أو رفعة أو علو .. ألم يقل سيدنا عمر بن الخطاب الفاروق أمير المؤمنين: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العز في غيره أذلنا الله؟ ألا يشهد على هذا واقع الحال اليوم وواقع التاريخ أمس؟ لا يريدون لأنفسهم أن يكونوا مستضعفين في الأرض فهذا ذل لا يرضاه مؤمن والمؤمن لايعطى ولا يعطي الدَّنيَّة من دينه أو دنياه ، ولو أدى به الأمر إلى المهاجرة في أرض الله الواسعة يضرب فيها ليجد بعون الله وإذنه مراغما كثيرا وسعة .. وإذا مات فقد وقع أجره على الله .. جاههم وعزهم في أنهم يذكرون الله في كل حين وعلى كل حال قياما وقعودا وعلى جنوبهم .. بهذا الذكر تطمئن قلوبهم وإذا اطمأنوا أقاموا صلواتهم .. فلا يهنون ولا يحزنون لأنهم الأعلون والله معهم ... يرجون من الله مالا يرجو غيرهم...

عزهم ومجدهم وعلوهم في أنهم في سرهم ونجواهم لا يبطنون شرا فنجواهم بأمر الله إن هي إلا أمر بصدقة أو بمعروف أو بإصلاح بين الناس، ابتغاء مرضاة الله.. وهم لا يوالون إلا الله ورسوله والمؤمنين.. ولا يبتغون العزة بذلك إلا من الله الذي له العزة جميعا ومنه تستمد.. وهو الذي لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا وهو الذي يدافع عن المؤمنين..

قصة المولد في المتخيل الأدبي

■ بقلم : أحمد بودهان

■ تمددت ظلال الجبال، حين أقبل الأصيل، وجنحت الشمس للمغيب ، فإذا بأشابحها الظليلة تلك، تزحف على " أم القرى" شيئا فشيئا حتى اكتسحت جميع مبانيها القديمة ، الملتفة حول البيت العتيق ...

وبعده بقليل . هجم الظلام ، على ذلك " الوادي غير ذي زرع " الذي اتخذه الخليل مسكنا لذريته ، منذ آلاف السنين ، وتنفيذا لأمر ربه، حين دعاه خاشعا طائعا .. « ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع ....» في وقت لم يكن أحد يعرف " الحكمة" في اختيار" الخليل لهذا" المنحنى" مقاما ومسكنا لذريته، ولاخطر على بال البشرية يوم ذاك، أن هذا الوادي غير ذي زرع " سيكون يوما ما موضع مبعث " ميلاد الإنسانية، ومهبط الرسالة السماوية للعالمين أجمعين!! أقول.. زحفت تلك الظلال الشبحية على : بكة" ، ثم طوتها حلكة دامسة ، فإذا بالمدينة أشبه ما تكون ب " حلقة" صغيرة ضائعة في أتون فلاة لا حد لها ولاحصر، أتون الظلام ، وفلاة الصحراء...

أجل .. عسعس الليل ، بعد أن رقد السمار وهمدوا ، وانطفأ نور الخمار فجمدوا وسكت الحيوان الأليف عن كل ثغاء ورغاء مأخوذا برهة الليل الرهيب في بطن ذلك الوادي الرحيب، وفي خضم هذا السكون الليلي الصحراوي الموحش. والناس نيام. كان الشيخ الوقور ، سيد مكة، شاخصا ببصره إلى السماء ، وهو ممتد في دثاره ، يصارع الأمر الذي هم به هاتفا، حتى أيقظ مضجعه، وطرد سنة النوم من رأسه .. إنه هاتف الذكرى " ياعبد المطلب" !!؟ ذكرى الوفاء بالعهد.. الوفاء بالنذر" أم تراك نسيته ياأبا الحارث؟؟! أنسيت قولك بعد " مأساة زمزم "لئن ولد لي عشر نفر ، ثم بلغوا معي حتى يمنعوني لأنحرن أحدهم لله عن الكعبة"؟!

وهاهو طلبك قد تحقق ، رغم انك كنت قد بلغت من الكبر عتيا، وهاأنت الآن في عز ومناعة وقوة وجاه من أهلك وذريتك وأولادك العشرة، فأين وعدك وعهدك؟ وأين القربان الذي نذرت به رب الكعبة؟؟

لم يكن " سيد مكة" قد نسي نذره أو تناساه أو تعمد تأخيره أو المماطلة فيه، وإنما كان ذلك تصرفا من القدر، حتى يحين الوقت الحاسم الذي يكتمل فيه النصاب اكتمالا ، فإذا كل شيء قد تهيأ، وفي إبانه المحدود ، ظرفا وزمنا ، طبقا لتلك الإرادة السماوية الأزلية ، وعند ذاك ،، وفي تلك الليلة الدامسة بالذات ، شمر الشيخ الوقور" عن ساقه، يشحذ عزيمته، ويحزم أمره، فينهض ولسان حاله يقول في " إيه ياعبد المطلب ! قد آن الأوان ، لتمر في الامتحان ، كما مر فيه جدك الخليل أصل بني عدنان ، في قصته مع ولده اسماعيل الذبيح المفدى منذ زمان.. أجل إنه امتحان " وعند الامتحان يعز المرء أو يهان"

وأي امتحان أكبر وأخطر على الانسان من امتحانه في قرة عينه..

مهجة الجنان، ومنبع الحنان!! إنها واحدة من اثنين إذا " ياسيد مكة" إما التضحية بفلذة كبدك ، تنفيذا لنذرك. وذلك هو سر النجاح في هذا البلاء المبين، وإما النكث وعدم الوفاء بالعهد، وذلك هو عين السقوط وشر العصيان والعقوق!! وإنهما أمران أحلاهما مر ياأبا الحارث ! .. ولكن لمن سيكون النصر والفوز في هذا الامتحان العسير؟! يكون للعاطفة التي تمثل العقوق هنا حين تفضل الاحتفاظ بفلذة كبدك بدلا من التضحية به وفاء لنذرك؟ أم الشهامة والإرادة الصلبة حين تقدمه قربانا بدلا من الاحتفاظ به خيانة للوفاء بالنذر؟! ولم يطل الصراع بين العاطفة الجياشة التي هي مصدر ضعف لكل كائن حي أحيانا ، وبين الإرادة النافذة المعاكسة التي هي مصدر قوة الكائن الحي حينا...

لم يطل هذا الصراع بالنسبة لامتحان عبد المطلب هذا، بل إنه حسمه حسما بمجرد ان هتف به ذلك الهاتف المذكر، في ذلك الليل القمطرير المسيطر ...

وهكذا ، وبمجرد أن لاحت تباشير ذلك الصباح في أفق مكة المبكر، بعد ليلة ذلك الهاتف المذكر ، حتى كان " الشيخ المسكين " قد سربل رداءه ، وجمع أطرافه ولم تلابيبه وشد إزاره، ثم صمم مراده ، فخرج قاصدا " ضارب الأقداح " الملازم حضرة" هبل " كل صباح، تحثه خطاه ، وتستعجله قدماه، وبنوه العشرة يقتفون أثره ، حتى يعرف من منهم سيطلع السهم نصيبه المحتوم، والتضحية قدره المحكوم!!...

كان المسكين لهوفا وشغوفا لحنانه على أبنائه العشرة ، يوزع عطفه وحدبه عليهم أكثر من كل أب معروف بشدة الحنان على أولاده بمكة ، وكيف لا يكون عبد المطلب كذلك ، وهو الذي عانى الويلات والويلات من قومه، قبل أن يستجيب الله دعاءه في منحه إياه ، تلك الذرية الصالحة بعد طول لهف وانتظار؟ إلا أن هذا الحب قد يتضاعف أحيانا عند كل أب تجاه أصغر ولد له، وذلك ليس تمييزا بين هذا وذاك، بل فقط نظرة خاصة منه للصغير باعتباره آخر انتاج من انتاج صلبه، ذلك الانتاج الذي يعكس دائما البقية الباقية من وجودنا الهاوي إلى الفناء حتما ، فإذا نحن نرى في غضاضة الصغير ونعومته، صورة طبق الأصل تذكرنا بعهد الطفولة الذي مضى وانقضى، كالحلم راق فولى. ولكننا نوهم أنفسنا وكأننا مازلنا في شرخ الشباب ، حين نتملى بالنظر إلى أصغر أولادنا، فنخفف عنا عباء الشيخوخة.

كما أن نظرتنا الخاصة إلى أصغر إنتاجنا تكون نابعة عن سبب آخر أكثر موضوعية ، وهو كون الصغير ، مازال غرا ، وما زال محتاجا إلى الرعاية والعطف والحنان حتى يشب عن الطوق.

من هذه الناحية فقط يمكن أن نجد لعبد المطلب عذرا في حبه الأكبر، لولده الأصغر ، شأنه في ذلك شأن كل أب ، وإلا فإن أولادنا مهما كثر عددهم هم بمثابة أعضاء جسمنا فمن ياترى يقبل ببتر عضو من أعضاء جسمه اختيارا وعبد المطلب كان أعذر من كل عذر حين يذوب في عاطفة الأبوة تجاه بنوته ما دام أن بنوته تلك لم يرزقها إلا بعد طول شوق وطول انتظار ، وطول إلحاح في الدعاء والطلب حتى كاد أن ييأس ، ثم استجابت السماء لدعائه، ولكنها أرادت أن تمتحنه في ذبح ولده لترى هل يشكر ويحتسب فيضحي به، أم يكفر ويعصي فيستأثر به ارضاء للعاطفة ؟؟ تماما كما سبق أن استجابت السماء لدعاء هدى الخليل ، حين قال حامدا شاكرا:" الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق ، إن ربي لسميع الدعاء ...» ثم امتحنته السماء في ذلك البلاءالمبين حين أمرته أن يذبح ولده...

وتتشابه به المأساتان ، وينطبق الحدثان ، وفي عين المكان !! تشوق وحرمان .. عطاء وأخذ .. أي سر في هذا وذاك ياعبد المطلب؟!

السر موجود ولاشك ، ولكن شيخ مكة لم يستطع أن يفك ألغازه، ولا أن يجلو أسراره، ولا أن يفهم كنهه وغايته بعد ، ولذلك اكتفى بمسايرة أمر القضاء .. على منوال مأساة جده الحنيف" مسترشدا بقوله :" لله ما أعطى وله ما أخذ ... وكأن لسان حاله يقول مرددا قول الصوفية على طريقتهم الرمزية:

" سلم لسلمى وسر حيث سارت"
واتبع رياح" القضاء ودر حيث دارت

إلا أن المصيبة تعظم عند عبد المطلب .. وما عبد المطلب إلا بشر!!!!؟؟

تعظم عليه المصيبة ، لأن ماكان يخشاه أكثر هو الذي حصل، أي أن القرعة أبت إلا أن تختار " عبد الله أصغر أولاده، بدلا أن تختار أي واحد من إخوته الكبار ، فإذا بـ عبد الله " هو حبة القلب وسويداء العين ، بالنسبة للشيخ المسكين .. عبد المطلب.. وذلك نظرا للاعتبارات النفسية والوجدانية التي أشرنا إليها من قبل وبغض النظر عن اختلاف الروايات وكون عبد الله هو الأصغر أو غيره ، فالسؤال هو لماذا ياترى كان عبد الله هو المختار بالذات كبشا للفداء ، رغم أن عملية القرعة أعيدت عدة مرات؟؟ وهنا أيضا سر احتار " عبد المطلب" في تفسيره ، كما كا يحتار في سر تلك القوة الخفية، التي كانت تجذبه جذبا إلى " عبد الله " قوة العاطفة المألوفة عند كل أب... لماذا يارب عبد الله بالذات ؟ أليست تجربة قاسية تفوق طاقة عبد المطلب البشرية؟؟ أجل هكذا كان الشيخ المسكين يستعطف السماء في مناجاته مع نفسه ، ولكن ما حيلة المرء إذا حم القضاء ونزل القدر.

وبينما كان " عبد المطلب " يستعد لتنفيذ أمر السماء في ذبح ولده" عبد الله " وعاطفته تنفطر انفطارا ، كلما رفع بصره إلى جبين ذبيحته الوضاء وشبابه الغر .. وبينما كان هذا الأخير في استسلام تام لرغبة أبيه، كأنه يردد في قرارة نفسه ما قاله أخوه إسماعيل الذبيح المفدى لأبيه " ابراهيم" ياأبت افعل ماتؤمر..." أقول .. بينما كانت رغبة السماء على وشك التنفيذ نهضت حمية القوم في قريش، فحالوا بين " سيدهم" وبين تنفيذ هذا الأمر ، طالبين منه أن يؤجل العملية الرهيبة هذه حتى يسأل العرافة " قطبة" ويستفسرها في الأمر، علها تجد له حلا ومخرجا يرضي السماء وألا يذبح عبد الله. كان هذا آخر أمل تشبث به الشيخ الوقور، فإذا هو يشد الرحال في سفر شاق ومتعب، تضرب إليه أكباد الإبل ليالي شتى ذهابا وإيابا ، وقد أضر المسكين أن يتجسم هذا السفر بنفسه رغم ماهو عليه من الضعف والهرم...

ويعود الشيخ من هذا السفر يحث خطاه، ليجرب حظه لآخر مرة عله يفتدي عبد الله ، فقد سألته العرافة " قطبة كم الدية عندكم؟ قال عشرة من الإبل ، قالت لاأرى حلا لإنقاذ هذا الولد ، سوى أن تواصلوا مضاعفة هذا العدد مرة تلو المرة حتى يخرج السهم على الإبل ، وبذلك ترضى السماء ، ولو بلغ ما بلغ العدد من الإبل...

وفي الأخير . وليس بالآخر . تحنو السماء مؤقتا على قلب الشيخ المكلوم فتقبل افتداء عبد الله هذه المرة، بعد مضاعفة عدد الإبل العشرة إلى أن قفز العدد إلى مائة " مائة من الإبل "... وبعده كان السهم يطلع دائما على الإبل بدلا من عبد الله فاطمأن سيد مكة، وأمر بنحر الإبل لينتفع بها القانع والمعتز، وكل من له حاجة من إنسان وحيوان وطيور... وهكذا وبعد هذه الحادثة المثيرة ، تضاعف حب .. عبد الله في قلب أبيه. وكيف لا ؟! وقد عاد من الموت، بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى منه لولا لطف السماء...

اشتهر أمر الشاب المفدى ... حتى عاد محبوبا أكثر من ذي قبل ، ليس فقط عند أبيه وأهله بل عند كل من سمع بقصته التي تناقلتها الركبان في جميع أرجاء الجزيرة وخارجها، ثم تهافتت الفتيات الحسان ، على مخاطبة وده، والتقرب إليه، وتنافسن في السباق بينهن، كل واحدة تتمنى أن يكون لها قصب السبق في غزو فؤاده، والفوز بذلك .. الجبين الوضاء.. الذي يحمل نور النبوة بين وجنتيه إلا أن الفوز بـ عبد الله لم يكن لا من نصيب هذه ولاتلك ، وإنما كان من نصيب امرأة، ربما لم يخطر على بال أحد من أن تكون هي الزوجة الأمينة لهذا الشاب المفدى إنها " آمنة بنت وهب" سيدة بني زهرة .. صاحبة الشرف والهمة ، والعفاف والحسب والنسب والجاه والجمال.

والقصة معروفة في كتب السيرة التي تهتم بالسرد التاريخي للأحداث، أما نحن هنا فإننا نغوص في ما وراء تلك الأحداث لنتتبع ذلك الشريط المأساوي الدرامي الذي يبدأ أوله بقصة الخليل مع هاجر وولده الذبيح المفدى إلى قصة عبد المطلب مع ولده عبد الله المفدى ، علنا نستشف السر من وراء هذا الشريط المأساوي، وبأسلوب أدبي ممزوج بشيء من التخيل الموضوعي الإنساني...

نعم .. تزوج عبد الله بآمنة ، ومكث معها في بيت الزوجية حوالي ثلاثة أشهر، كانت كلها أيام أنس وسعادة وسرور ، إلا أنها كانت أكثر سعادة نفسية بالنسبة لـ " سيد مكة " لولا ظهور معالم " المأساة" من جديد!! فهذا عبد الله السعيد يفارق زوجته لأول مرة للقيام بسفرة في تجارة إلى الشام. فتودعه كما يودعه شيخ مكة وداع الوالد لولده المفدى...

ثم يعود الشيخ إلى بيته، وفي قلبه إحساس غريب جعله يتوقع شرا ما .. وتمضي الأيام سريعا، وعبد المطلب يعدها عدا، ثم تعود القافلة من الشام فينهض الشيخ الوقور لاستقبالها كي يحتضن عبد الله حبة قلبه وسوداء عينه ولكنه فوجيء عندما قيل له : أن المفدى قد تأخر في يثرب عند أخواله " بني النجار " لمرض ألم به فكان هذا الخبر كافيا بأن يطعن قلب " عبد المطلب" فإذا بأحاسيسه الغريبة تلك، وهمومه ومخاوفه على مصير" عبد الله " تعود إليه مرة أخرى وبشكل مأساوي أعنف، فتراه يناجي ربه شاخصا ببصره إلى السماء رباه أية خطيئة ارتكبتها وأي جرم اقترفته ، حتى عاد الجرح من جديد بعد جرح حادثة الفداء الذي لم يندمل بعد!؟ والذي مازال طريا؟؟؟!!.

هل هي لعنة السماء التي لم ترض عني! أم هي الحكمة التي لم أدرك سرها؟ أم هو امتحان آخر أقوى وأقسى من الامتحان السابق؟؟

رحماك يارب .. إن صبري أوهن من صبر " أيوب" وأضعف من صبر" يعقوب" ولم يطل الانتظار قليلا هذه المرة ، حتى علم : عبد المطلب" علم اليقين أن " القدر الذي انفلت : عبد الله من يده في التجربة الأولى قد حم عليه هذه المرة كقضاء مبرم لا مرد له ولادافع...

تابع (ص11)

في النهي عن المباح المؤدي إلى المحظور

■ إعداد الدكتور: محمد حمان

■ قال تعالى « ياأيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم» سورة البقرة/ الآية: 104.

يقول ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية:

" يتعين في مثل هذه الآية تطلب سبب نزولها لينظر موقعها ووجه معناها ... ومناسبة نزول هاته الآية عقب الآيات المتقدمة في السحر وما نشأ من ذمة أن السحر كما قدمنا راجع إلى التمويه، وراعنا أمر من راعاه يراعيه، وهو مبالغة في رعا يرعاه إذا حرسه بنظره من الهلاك.. وأطلق مجازا على حفظ مصلحة الشخص والرفق به... ومنه قول الفقهاء هذا من النظر، والمقصود منه الرفق وقد دلت هذه الآية على مشروعية أصل من أصول الفقه وهو من أصول المذهب المالكي ، يلقب بسد الذرائع ، وهي الوسائل التي يتوصل بها إلى أمر محظور. وقوله تعالى « واسمعوا، أريد به سماع خاص وهو الوعي.. وقوله:« وللكافرين عذاب أليم، التعريف للعهد، والمراد بالكافرين اليهود...»

تعد هذه الآية. موضوع النموذج المختار. من بين الآية التي استند إليها علماء وفقهاء المذهب المالكي في اعتبارهم لسد الذرائع من الأصول العامة للفقه الإسلامي ، وقد سبق لنا أو وقفنا على آية أخرى في نفس الموضوع ، وهي تلك التي أخذناها كنموذج ثاني من تفسير ابن العربي لآيات الأحكام.

واختيارنا لهذه الآية سيفسح أمامنا المجال للمقارنة والتمييز بين النهج الذي ينهجه فقيهنا المعاصر ابن عاشور في تحليله لنصوص القرآن ، وبين المسلك الذي يسلكه ابن العربي باعتباره من كبار فقهاء المالكية القدماء. في استخلاصه للأحكام الفقهية من الآيات القرآنية.

وبالمقارنة بين أقوال العالمين الجليلين في الأيتين الكريمتين يتبين أن كلا منهما يعطي اهتماما خاصا لبيان سبب النزول ، لما له من دور فعال في الكشف عن المعنى الدقيق للنص القرآني ، وأن كلا الرجلين لا يفوته التنبيه إلى مافي هذه الآية أو تلك من التلميح إلى أصل سد الذرائع الذي يعتبره المالكية من الأصول الفقهية المعتمدة في استنباط الأحكام.

ولعل مما يجمع كذلك بين هذه الفقيهين الاهتمام الكبير بالجانب اللغوي عند تفسيرهما للآية أو الآيات القرآنية، على أن بإمكاننا أن نعتبر من المفارقات بينهما ما يفعله ابن عاشور من مراعاة ، مناسبة ذكر الآية عقب ما سبقها من الآيات، ومايبديه غالبا من اهتمام خاص بالجوانب البلاغية والإعجازية ، كما أن مما يمتاز به ابن العربي دفاعه عن آراء المالكية ، وتعريجه أحيانا على ما ذهبت إليه الطوائف الأخرى من فقهاء أصحاب المذاهب بقصد إبراز صواب الراي المالكي بين باقي الآراء المذهبية، وتركيزه دائما على استخلاص الأحكام الفقهية من آياتها.

يصدر المؤلف حديثه عن الآية الكريمة ببيان سبب نزولها ، لأنه يرى أن معناها الكامل لايظهر إلا بعد معرفة الداعي إلى نهي جماعة المؤمنين عن قول كلمة ألِف المتحدثون التفوه بها دون أدنى حرج، ولا يجدون غضاضة في استعمالها، ومعناها اللغوي ليست فيه أية إساءة إلى المخاطب بها، ولهذا يكون النهي عنها قائما على سر وهذا السر هو الذي يكشف الله لرسوله الكريم بإنزال هذه الآية عليه، إذ كان اليهود والمنافقون يرددون كلمة راعنا قاصدين بذلك سب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فنبه سبحانه بهذا النهي رسوله والمؤمنين إلى هذه الدسيسة الخبيثة مرشدا لهم إلى قطع الطريق أمام أعدائهم بالابتعاد عن هذه الكلمة التي يتخذها خصومهم ذريعة لسب رسولهم محمد صلى الله عليه وسلم .

لما ينتهي ابن عاشور من الحديث عن سبب نزول الآية ينتقل توا إلى بيان علاقتهما بالآيات السابقة عليها واضعا أيدينا على مايربطها بما قبلها ، وهو التمويه الجامع بين موضوعها وموضوع ما تقدمها الخاص بالسحر الذي لا ينفك عن التضليل والتمويه، ومن هذا القبيل ما يلتجئ إليه أعداء الإسلام من المنافقين واليهود من المكر والخداع هنا باستعمالهم لهذه الكلمة مريدين بها الإساءة إلى نبي المسلمين ، وبما أن السحر يبطل مفعوله في نظر متعاطيه بتفطن المسحور إلى ما يفعل به فكذلك ينتهي ويندثر خداع المنافقين واليهود بكشف سرهم الخبيث عن طريق الوحي الإلهي.

وابن عاشور من عادته في تفسيره التركيز على الجانب اللغوي ، لهذا نراه هنا يجري مناقشات لغوية حول كلمة راعنا، فيبين الفرق بين مدلول الرباعي منها والثلاثي ، وكيف تستعمل مجازا لدى اللغويين والفقهاء ، وكيف يتساوى معناها مع معنى لفظة انظرنا التي جاءت عوضا عنها في الأمر الإلاهي الذي وردت به الآية.

والمؤلف باعتباره فقيها متضلعا لايمكنه أن يغفل عن الجانب الأصولي المستفاد من سياق الآية ، لهذا نراه ينبهنا إلى ماتتضمنه بعض ألفاظها من الدلالة على أحد الأصول الفقهية الذي يعرف بين أصول المالكية بسد الذرائع وقد شرح لنا مؤلفنا هذا الأصل، حيث بين أن المراد به كل ما يذهب بصاحبه إلى ما لا يجوز شرعا من الممنوعات.

ومما ينفرد به ابن عاشور بين المفسرين غالبا هو أنه يعتني بجميع ألفاظ الآية التي يفسرها، سواء كانت أساسية في المراد منها أو مكملة ومضيفة لبعض الأشياء المترتبة عما جاءت من أجله ، فهو هنا يوضح ما توحي به كلمة اسمعوا في الآية من معنى الحذر والوعي، ويذهب إلى أن المقصود بالكافرين في الجزء الأخير منها اليهود بصفة خاصة وينتهي في بحثه إلى أن المراد من كل النص القرآني الذي يشرحه دعوة المؤمنين إلى التأدب مع الرسول، ونهيهم عن مسايرة اليهود فيما يسعون ويهدفون إليه من الدسائس الخبيثة.

(تتمة)

مات الذبيح المفدى .. مات وأثر أيام زواجه الأولى ما تزال عالقة به مات عبد الله وترملت آمنة وبقايا الحناء ما تزال تخضب أناملها... لا ياعبد المطلب : رويدك ، حلمك، إن عبد الله لم يمت كما يموت كل الناس لا إنه لم يمت قبل أن يودعك " السر" الذي طال ما احترت في تفسيره إن عبد الله كان من المفروض أن يموت في حادثة " الفداء " ولكنه لم يمت ، لأنه لم يكن قد استودع السر مكانه والآن وبعد أن تزوج آمنة وأودعها " سر الإنسانية " فلا بأس من أن يلتحق بالرفيق الأعلى طبقا للمخطط الأزلي، وهكذا اطمأنت وهدأت نفس " عبد المطلب " قليلا عندما نقل إليه خبر حمل آمنة، آمنة التي ظلت هي أيضا تعيش على هذا الأمل كلما أحست بحركة الجنين في أحشائها...

أجل " إن عبد الله " قد أدى الأمانة عندما وضع " نور النبوة" في محله الذي خلق له نور النبوة الذي كان يحمله جبينه الوضاء قبل زواجه بآمنة: نور النبوة الذي ظل ينتقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية حتى بلج في شخص " عبد الله" المفدى الذي وضعه أمانة في رحم آمنة ليخرج إلى الوجود في شخص ابنه المرتقب منقذ الإنسانية... ابنه" محمد"، وذلك هو السر الذي حيرك ياعبد المطلب وأنت تعيش" مأساة عبد الله" الذي كلما أوددت منه قربا ، كلما ازداد منك بعدا : إنه سر النبوة ياشبيه الخليل ، سر النبوة الذي شاءت الأقدار أن يولد يتيما، فطوبى لك يا آمنة ..طوبى لك ياعبد المطلب إن السر الذي حيرك قد حان أوان ظهوره، بهذا كانت نفس عبد المطلب تحدثه وهو يستعرض شريط الأحداث التي مرت به مع ابنه المفدى ثم يقارنها مع أحداث الزمن التي واكبت ميلاد الكعبة منذ إبراهيم الخليل ثم يزيده ذلك ما كان يسمع هنا وهناك، من أخبار غريبة، وبشارات محيرة، من طرف اليهود ، والكهان والعرافين وهم يتحدثون عن قرب زمن ميلاد الإنسانية في بطن مكة . وتمر الأيام وعبد المطلب يستعجلها عله يبقى على قيد الحياة حتى يرى صورة ابنه " عبد الله " الذي قضى نحبه في ملامح حفيده المرتقب...

وتأتي حادثة" الفيل " لتربط ذلك المسلسل المأساوي المثير والطويل فتجزع آمنة ويجزع عبد المطلب ، لهفا على مصير الوليد المرتقب ... فإذا بحكمة السماء تنقذ الجميع من الخطر الداهم، بتلك المعجزة العظمى التي عبر عنها عبد المطلب أصدق تعبير مسبقا عندما قال لأبرهة الأشرم.. "إن للبيت رب يحميه" ... وبعد معجزة الطير الأبابيل ، تتوالى المعجزات والكرامات في حياة آمنة الحبلى فتكثر الإرهاصات في الجزيرة ، وتنتشر الإسرائيليات منذرة بقرب انتهاء زمن " الفترة" باقتراب زمن ميلاد منقذ البشرية ... حتى بلغ الأمل ببعض العرب أن أسموا بعض أبنائهم باسم" محمد: الذي لم يكن معروفا إلا في التوراة والإنجيل، بدعوى أن صفات الرسول المنتظر أن يكون عربيا مكيا.، وأن اسمه " محمد" إلا أن عبد المطلب لم يكن على علم بخبر هذا الإسم ولم يكن قد سمع به نظرا للسرية التامة التي كانت تحوط هذا الاسم حتى لا يتسابق الناس إليه...

وتمر الأيام سراعا، وتدق ساعة الزمن ، معلنة العد العكسي في " فجر ذلك اليوم الأغر" فإذا بحركة السماء والأرض غير عادية.. نور يشع من بيت آمنة فيخرق عنان السماء فيضيء المشرق والمغرب ، شهب في السماء حارسة وراجمة، النيران المجوسية منطفئة خامدة " إيوان العروش الطاغية منكسرة متهدمة : ترى.. ما الخبر؟.. وماذا حدث لهذا الكون؟؟ ويجمع اليهود على عجل في " يثرب" حول نداء أحدهم الذي أعلن فيه" أن نجم أحمد قد ولد.. وأن مصير اليهود من الآن في خطر... أجل .. إنه " الفجر" الأعظم والسر الأكبر ، الذي طالما حيرك ياعبد المطلب بشراك .. بشراك.. يا سيد مكة بميلاد حفيدك المرتقب محمد خير البشرية ، ومنقذ الانسانية فلو عشت أكثر مما عشت لرأيت هذا السر مكشوفا أمامك في هذا المولود وأنك قد احتضنته وأحللته محل أبيه كبش الفداء ثم أسميته محمدا وعوضت به أكثر ما فقدت ... ترى؟أي عيد في العالم كله أغلى وأسمى من هذه الذكرى .. ذكرى ميلاد الإنسانية في شخص ميلاد الرسول الأعظم " محمد منقذ البشرية.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة

العدد 1020

السنة 36

الجمعة 14 ربيع الاول 1424 هـ

الموافق 16 ماي 2003 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

رقم الإيداع القانوني: 1994/160

الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma

موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة

العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب.

ترتيب المواد لا يخضع إلا
للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1020 الجمعة 14 ربيع الأول 1424 هـ .الموافق 16 ماي 2003م

المقاصد والغايات التي ارتكز عليها سلف الأمة وخلفها من أهل المغرب في اختيار المالكية مذهبا والأشعرية عقيدة

■ إعداد الأستاذ : محمد حسني
عضو المجلس العلمي / سطات

الحلقة الثانية

الأصول والغايات التي ارتكز عليها سلف الأمة من اختيار المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية:

لقد بين مالك في موطأ أصول الفقه وفروعه - فهو يستنبط القواعد، ويصدر الأحكام ، وكان يعتمد على أهل المدينة كما كان يعتمد أحيانا على القياس، وكان أتباعه يعملون أعملا يبثونها ويحددونها بناء على ما فهموه من طريقة استنباط الأحكام ، ومادونه من فتاوى ومسائل ، وجمعه من أحاديث ، وما أثر عنه من آراء وأقوال ، فهم قد سايروا منهج مالك، ويختلفون معه قليلا يعد اختلافا بسيطا.

ويعطي الأستاذ عمر الجيدي فرقا واضحا بين الأصول والقواعد التي استنبطت منها الأحكام ، فالأصول مصدرها الكتاب والسنة ، والقواعد هي التي وضعها الفقهاء من المجتهدين من أهل التخريج والاستنباط باستقرائهم الأشياء والنظائر . فالقاعدة الفقهية متأخرة عن الأصول ، فهي جملة الضوابط الفقهية الخاصة.

أقسام القاعدة الفقهية:
قسم الفقهاء القاعدة الفقهية إلى عامة وخاصة:

- فالعامة تطلق على قواعد جامعة لأحكام كثيرة ، مثل :" درء المفاسد مقدم على جلب المصالح"... " الضرورات تبيح المحظورات" ، "والأمور بمقاصدها" " واليقين لايزول بالشك" ، " والأصل براءة الذمة" ، " والضرر لايزول بمثله" " وإذا اجتمع ضرران ارتكب أخفهما" ، و" الضرورة تقدر بقدرها" ، " والتعيين بالعرف كالتعيين بالشرط " " والعادة محكمة"، " والمشقة تجلب التسيير"....

-أما القواعد الخاصة فتندرج تحتها أحكام فقهية جزئية تندرج تحت الكليات ، والأصول ينظر إليها على أنها مصادر لاستنباط الأحكام الشرعية.

يعتبر المذهب المالكي من أغزر المذاهب من حيث القواعد الفقهية، وقد ألف في ذلك الإمام القرافي ، وعبد الله المعري 756هـ وأبوا الحسن الزقاق 919 هـ وأبو العباس الونشريسي 955 هـ و الشيخ ميارة 1072 هـ.

قسم القرافي الأدلة إلى 19 دليل وهي : الكتاب ، والسنة، وإجماع الأمة، وإجماع أهل المدينة، والقياس، وقول الصحابي، والمصلحة المرسلة، والاستصحاب، والبراءة الأصلية، والعوائد، والاستقراء، وسد الذرائع، والاستدلال،والاستحسان، والأخذ بالأخف، والعصمة ، وإجماع أهل الكوفة، وإجماع العترة، وإجماع الخلفاء الأربعة ويقول المرحوم الدكتور عمر الجيدي أن حصول هذه الفصول قد تشترك فيها مذاهب معينة ومنها ماهو خاص، بالفرق الشاذة ، كالعصمة وإجماع العترة وكلمة الراي تشمل بعمومها المصالح المرسلة وسد الذرائع والعادات والاستحسان والاستصحاب والقياس.

وذكر السبكي في " الطبقات" أن أصول مذهب مالك تزيد عن خمسمائة دليل، ولاحظ المرحوم أبو زهرة أن مذهب مالك أكثر المذاهب أصولا ، وهذه الأصول تجعل المذهب المالكي أكثر حيوية ومرونة وأقرب مذهب إلى مصالح الناس ، يقول المرحوم الدكتور عمر الجيدي » بعبارة جامعة إنه أقرب إلى الفطرة الإنسانية التي يشترك فيها الناس ولا يختلفون إلا قليلا بحكم الإقليم والمنزع والعادات الموروثة».

أثبت أبو بكر بن العربي 549هـ في كتابة " القبس" أن مالكا بين في كتابه " الموطأ" أصول الفقه وفروعه ، ومهد الأصول للفروع.

يقول الفقهاء أن الشافعي هو الذي نظم على الأصول و منهجه، وحققه، ويتهمون المغاربة بجهلهم بهذا العلم (علم الأصول)، والذي كان يروج هذه التهمة هو أبو الوليد بن رشد الحفيد 595 هـ.

وعلم الأصول يرتبط ارتباطا وثيقا بالفقيه ، باعتبار أن هذا الأخير هو الذي يتعمق في هذا العلم ، ولايمكن أن يكون الفقيه فقيها إلا إذا كان قادرا على استنباط الأحكام من مصادرها والتخريج والتشهير والتضعيف . وقد جدد هذا العلم الفقيه الأصولي النظار أبي إسحاق الشاطبي 790هـ. في كتابه " الموافقات" ، ونجد إشارات فيما كتبه الغزالي في كتابه " المستصفى" 505 هـ ، والعز بن عبد السلام 660هـ في كتابه " القواعد " وابن القيم في كتابه" أعلام الموقعين" . لكن الشاطبي توسع في بحث المقاصد فهو الذي وسعها ورسم لها المنهج القويم ». ويقول الفقهاء إن علم الأصول بدأ بالشافعي وانتهى بالشاطبي ، ويقولون إن القرن الثامن الهجري كان أهم مرحلة نشط فيها علم أصول الفقه.

تعرض التأليف للضعف في القرن العاشر للهجرة حيث لا نجد إلا قليلا من الفقهاء الذين ألفوا في هذا المجال إلا الونشريسي في كتابه " المعيار " 914 هـ ، لكن ثراء التأليف ازداد في مرحلة القرن الحادي عشر وفي القرن الثاني عشر للهجرة ، حيث ظهر أبا علي الحسن بن مسعود اليوسي 1111هـ . هذا ويعتبر علم الأصول كما يقول الفقهاء هو أساس الجدل والمناظرة والحوار البناء.

كان الفقهاء المالكيون أشد تورعا في الفتوى:

تعتبر المالكية الفتوى أساسية في المحافظة على بيضة الدين من البعد عن المقاصد والغايات السامية التي يسعى إليها الدين الإسلامي في أهدافه ومراميه.

كان أبو ذر يتورع عن الفتوى إلا ماكان واثقا منه حيث يخاف من الوعيد الذي سمعه من الرسول ، صلى الله عليه وسلم، في من يفتي بغير علم.

وجمعت فتاوى عبد الله بن عباس في عشرين مجلدا ، وجمعت فتاوى الحسن البصري في سبعة أسفار ضخام ، وجمعت فتاوى ابن شهاب الزهري في ثلاثة أسفار ضخمة .، والإمام مالك كما يقول الفقهاء انه تكلم في سبعين ألف مسألة جمعها أبو بكر المعيطي وأبو عمر الإشبيلي ، وأدرك ابن أبي ليلى 120 شخصا من صحابة رسول الله (ﷺ)، كلهم يتحرجون من الفتوى وودوا لو كفاهم الغير من إخوانهم مدركين أنه في غياب وحي يفصل في الفتاوى فإن مرجعهم هو رسول الله، صلى الله عليه وسلم الذي يتصدر الفتوى ، يقول الله تعالى: « يسألونك ماذا ينفقون قل العفو» سورة البقرة الآية 219.

أخرج الدرامي في سننه أن رجلا لديه ماء يركب البحر ويسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الوضوء بالماء وهو في حاجة إلى شربه قال له:« هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته»، وسئل عن أكل الضب فقال :« لست بآكله ولا محرمه»، وسئل عن التبغ فقال « كل شراب أسكر حرام» ، وسئل عن مقدار مايوصي المرء به من ماله فقال:« الثلث والثلث كثير» رواه البخاري، وسألوه عن تابير النخل فقال:" أنتم أدرى بشؤون دنياكم» الحديث... إلى غير ذلك من الأحكام التي دونت عنه صلى الله عليه وسلم.

ولذلك نجد مسائل ابن رشد في الفتوى ونوازل ابن الحاج وأجوبة المجاصي، وفتاوى ابن عرضون... والكل شيء واحد كما يقول الفقهاء ، يقول الله تعالى:« إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون» سورة البقرة/ الآية: 159. فالمفتي كما يقول الشاطبي يقوم مقام النبي صلى الله عليه وسلم، ونائب عنه في تبليغ الأحكام فهو مخبر عن الله كالنبي صلى الله عليه وسلم، فالفتوى صنعة لا يحسنها كل فقيه، فهي تحتاج إلى تقنيات خاصة.

ولذلك لا يحسنها كل فقيه ، فلابد للفقيه من الدربة والممارسة.

علم الفتيا أو فقه الفتيا هو تنزيل الأحكام على النوازل، يقول مالك لا يكون المفتي مفتيا إلا إذا كان مطلعا على علم ما اختلف فيه الناس.

يقول مالك: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك، وكان يردد أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار، وتجوز الفتوى كما يرى العلماء بالمشهور، والقول الراجح ، والقول المتفق عليه في المذهب ، والقول المساوي لمقابله حيث لا يوجد بينهما رجحان، وتجوز الفتيا بما يرويه العدل التقي عن المجتهد" مختصر خليل وشروحه" ونوازل كتب بعض المتأخرين، كان المعتمد عند المالكية في الفتوى التمهيد ، والتهذيب والنوادر، والواضحة والمدونة، وجامع ابن يونس ، والبيان والتحصيل، وعللوا أن مالكا هو الإمام الأعظم ، ويعتبر ابن القاسم أعلم الناس بفقه مالك ، وقد كان فقهاء المغرب يعتمدون في فتاويهم على مختصر الشيخ خليل.

كان الفقهاء المالكيون يلاحقون التطور، فكانوا يقيسون النظير على النظير، والفرع على الأصل ، ويستنبطون القواعد، ويشهرون ويرجحون ويخلصون إلى نتيجة أن كل قضية إما تدرأ مفسدة أو تجلب مصلحة ، ولم يجمدوا النصوص، فكانوا كما يقول الفقهاء يفتون بالشاذ والضعيف إذ كانت المصلحة تقتضي ذلك، وقد طبع الفقهاء المالكيون كتبا عديدة منها نوازل أحمد بن يحيى الونشريسي المعروفة بالمعيار المعرب. 12 مجلدا) .